البحـــوث

تفسير آيات الإنفاق من الجزء الثالث من سورة البقرة – دراسة تحليلية –

للدكتورة : لولوة بنت عبدالكريم بن سعد المفلح

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1]. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه.

أما بعد:

فإن خير ما يبحث فيه، ويتكلم عنه تفسير كتاب الله الكريم، وانطلاقاً من هذا فقد اخترت تفسير آيات الإنفاق في سورة البقرة، لأتشرف

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٥٧/٦ ط ١٣٤٧/١ المطبعة المصرية / مصر.

بخدمة كتاب الله – عز وجل – ولأهمية الإنفاق في سبيل الله وعظم أجره عند الله – عز وجل – أعددت هذا البحث.

وقد نهجت في إعداده المنهج التالي:

١. جمع الآيات القرآنية التي لها علاقة بالموضوع، وعزوها إلى سورها.

٢. جمع ما يتعلق بهذه الآيات من الأحاديث النبوية وتخريجها من مصادرها.

٣. شرح الألفاظ الغريبة من المعاجم اللغوية.

هذا وقد اشتملت الدراسة على مقدمة، وتفسير الآيات، وخاتمة.

أما المقدمة فقد ذكرت فيها منهجي في البحث.

وأما التفسير فقد اشتمل على تفسير الآيات تفسيراً تحليلياً.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج.

وبعد، فأسأل الله – عز وجل – أن يجعل هذا البحث علماً نافعاً، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الآية ١٦١

قال – تعالى –: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

عَلِيمٌ ﴾.

مناسبة الآية لما قبلها :

لما ذكر الله قصة المار على القرية ، وقصة إبراهيم وهما أدل دليل على البعث ذكر ما يُنتفع به يوم البعث وما يجد جدواه هناك وهو الإنفاق في سبيل الله؛ لأن ثمرة الإنفاق في سبيل الله تظهر يوم البعث ومن أنفق اعتقد بيوم البعث[1].

كذلك لما قص الله – سبحانه – ما فيه من البراهين ، حث على الجهاد ، وأعلم أن من جاهد بعد هذا البرهان الذي لا يأتي به إلا نبي فله في جهاده الثواب العظيم[2].

كذلك في هذه الآية دليل آخر على إثبات البعث – بعد ذكر القصص السابقة – كما يخرج الله هذه الحبات الكثيرة من حبة واحدة فهو قادر على إحياء الموتى يوم البعث .

(مثل) حين يطلق يراد به أحد شيئين :

١-إما الشبه . وهذا إذا ذكر المشبه والمشبه به فيكون المعنى مثل هذا كمثل هذا . فإن فالمراد به الشبه لأنه ذكر المماثل

---

(١) روح المعاني / الألوسي ٣/٣٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٣٠٢ .

كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[١].

٢-وإما الصفة . وهذا إذا لم يذكر المماثل كقوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[٢] فالمراد الصفة لعدم ذكر المماثل.

وكلمة ﴿ مَّثَلُ ﴾ في هذه الآية تقتضي الشبه لوجود المماثل، لكن لا يمكن ذلك؛ لعدم تطابق المشبه والمشبه به لأن المشبه هو المنفق والمشبه به هو الحبة . فيكون هنالك إشكال في ذلك لأن الحبة ليست بإزاء العامل المنفِق. لذا قال بعض العلماء: إنه لا بد من تقدير كلام حتى يستقيم التشبيه وهو: مثل إنفاق الذين ينفقون، أو مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبة وقُدِر هذا الكلام؛ لأن الذين ينفقون لايشبهون بالحب، بل إنفاقهم أو نفقتهم[٣].

---

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ١٥.

(٣) ينظر : التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٧،نظم الدرر/ البقاعي١/٥١٥ الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٣٠٣.

وهذا الاختصار في الآية الكريمة دليل على بلاغة القرآن " وتقدير الكلام : مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها ، فذكر المنفق أولاً دليل على حذف الزارع ثانياً ، وذكر الحبة ثانياً دليل على حذف النفقة أولاً "[1]. فهذا التمثيل انتظم العامل والعمل .

و(مثل) مبتدأ، خبره جملة (كمثل حبة) ... ولم يصح جعل هذا خبراً إلا بعد تقدير المحذوف وذلك لاختلافها[2].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الإنفاق: البذل والإخراج، ومنه نفقت الدابة إذا خرجت روحها وماتت، وأنفق المال إذا صرفه[3]. ونفق البيع خرج من يد البائع إلى يد المشتري . ومنه المنافق يخرج من الإيمان إلى الكفر .

﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الأموال جمع مال ، وهو ما ملكته من جميع الأشياء. والمال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان ،وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم[4]. فالمال إذاً كل ما يملكه الإنسان

---

(١) نظم الدرر/ البقاعي ١/٥١٥ .

(٢) ينظر : فتح القدير ،الشوكاني ١/٢٨٤ .

(٣) لسان العرب/ابن منظور ١٠/٣٥٧-٣٥٨ .

(٤) لسان العرب/ابن منظور ١١/٦٣٥-٦٣٦.

من الأعيان أو المنافع .

﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: (في) للظرفية والمراد أن هذا الإنفاق لايخرج عن شرع الله.

السبيل: الطريق، وسبيل الله الطريق الذي قد شرعه لعباده. والموصل إليه. وقد أرشد الله – عز وجل – عباده باتباع سبيله؛ لئلا تتفرق بهم السبل حيث يقول - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سُلك به طريق التقرب إليه- تعالى- بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات ، وإذا أطلق، فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه. وقوله - تعالى- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2] السبيل هنا: اسم جنس لا سبيل واحد بعينه ،لأنه قد قال: ومنها جائر، أي: ومنها سبيل جائر[3]، إذ السبيل يضاف إلى

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣.

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩.

(٣) لسان العرب/ابن منظور ١١/٣٢٠ .

سالكه، فيقال: سبيل الله ويقال: سبيل المؤمنين ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فأضيف إليهم لأنهم سلكوه، ويضاف إلى غير المؤمنين كقوله- تعالى-: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[3]، فالسبيل هو الطريق فيضاف كل سبيل لسالكه.

فالإنفاق المذكور في هذه الآية هو في سبيل الله؛ لذا ينبغي أن تتحق فيه أركان قبول العبادة وهي: الإخلاص لله – عز وجل – واتباع ما شرعه الله . فإذا أخل بأحد هذين الشرطين لم يقبل العمل فلا بد من وجود هذين الشرطين ليكون العمل مقبولاً .

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ ﴿حَبَّةٍ﴾: اسم جنس لكل مايزرعه ابن آدم ويقتاته وأشهر ذلك البر، وكثيراً ما يراد بالحب[4] وحبة القلب: سويداؤه ، ويقال: ثمرته وهو ذاك. والحبة بكسر الحاء: بذور البقول مما ليس بقوت[5].

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٥.

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٥.

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٦.

(٤) المحرر الوجيز/ابن عطية ٣٠٩/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣٠٤/٣.

﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ : يعنى أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة[١]. وقال: ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ ولم يقل سبع سنبلات جمع قلة، لأن في ذلك تهييجاً على الإنفاق ، وفيه توسع فيستعمل كل من البناءين مكان الآخر ، ولعل الحكم لما عم تضمن معنى الكثرة فحسن بناء الكثرة.

﴿أَنۢبَتَتۡ﴾: المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات. "وفي هذه الآية إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل ، الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مُذعنة للإنفاق سامحة به مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة[٢].

وقد ضرب الله – عز وجل - المثل بالزرع، لأهمية الزرع جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌأَوْ طيْرٌ أَوْ بهَِيمَةٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صدَقَةٌ**»[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير السعدي ١١٣.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٣/٥ كتاب الحرث والمزارعة ، باب فضل الزرع والغرس، ٤٣٨/١٠ وفي الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم . ومسلم ٢٧/٥ في =

وجملة:﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾: يعني أخرجت سبع سنابل" والجملة في موضع جر صفة لجنة"[1].

﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ الجملة ابتداء وخبر في موضع جر صفة لسنابل[2].

قال القرطبي – رحمه الله – :

إن سنبل الدُّخْن يجيء في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعفين، وأكثر على ما شاهدناه.

وقال ابن عطية – رحمه الله –: وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب فأكثر، ولكن المقال وقع بهذا القدر[3].

وقال الطبري- رحمه الله – إن قوله :﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ معناه إن وجد ذلك وإلا فعلى أن تفرضه[4].

=

المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع ، والترمذي في الأحكام ، باب ما جاء في فضل الغرس رقم (١٣٨٢) .

(١) إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٧.

(٢) إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٧.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٣١٠.

(٤) جامع البيان/الطبري ٤/٦٥٢.

إذا صح التمثيل ولم ير سنبلة فيها مائة حبة؛ لأن ذلك موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرخت ساق البرة في الأرض فبلغ حبها هذا المبلغ. وعلى تقدير عدم وجوده ، فهو غير مستحيل، وما لا يكون مستحيلاً يجوز ضرب المثل به .

والمراد أن الحبة صارت سبعمائة حبة، بمضاعفة الله لها. فكما ضاعف الله سبحانه وتعالى للزارع حبته فهو يضاعف للمنفق نفقته.

من ذلك يتبين : أن الحسنة في الإنفاق في سبيل الله تكون سبعمائة ضعف . فهذا دليل على فضل الله – عز وجل- على عباده؛ لأن الله يعاملهم بالفضل والزيادة فالحبة الواحدة تكون سبعمائة حبة بل قد تزيد على ذلك .

قال ابن كثير – رحمه الله - :

"وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله – عز وجل – لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة. وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف، قال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن مجمع أخبرنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: قال النَّبِي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **إن الله جعل حسنة ابن آدم إلى عشر أمثالها إلى**

سبعمائة ضعف)) الحديث[1][2].

والحسنات تضاعف للمسلم حتى ولو لم يعمل الحسنة كما في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: ((**يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ**))[3]، فإذا همّ بالحسنة ولم يعملها كتبت حسنة واحدة ، أمّا

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٩٠/٧ . والحديث صحيح لغيره وهذا إسناده ضعيف ، لضعف عمرو بن مجمع ولين إبراهيم الهجري ، وهو ابن مسلم ، وأبو الأحوص هو عوف بن مالك الجشمي من رجال مسلم . وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٠١٩٨) وأورد الهيثمي في المجمع ١٧٩/٣ ، وقال رواه الإمام أحمد والبزار باختصار والطبراني في الكبير ، وله أسانيد عند الطبراني وبعض طرق رجالها رجال الصحيح ، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري (١٩٠٤) ، ومسلم (١١٥١) . ينظر الموسوعة الحديثة ٢٩٠/٧-٢٩١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣١٦/١.

(٣) صحيح البخاري ٤٦٥/١٣ في التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ، ومسلم ٨٢/١ في الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ، والترمذي رقم (٣٠٧٥) في التفسير ، باب ومن سورة الأنعام.

إذا عملها فتكتب عشر حسنات كما في الحديث السابق، وكما في قوله - تعالى - : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[١] ثم تضاعف إلى سبعمائة ضعف كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ وفوق ذلك مضاعفة الحسنات فوق سبعمائة كما في قوله - تعالى-:﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وأعلى من ذلك مضاعفة كثيرة كما قال- تعالى-:﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٢] وأعلى مراتب مضاعفة الحسنات قوله- تعالى -: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣] .

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾:

﴿يُضَٰعِفُ﴾ قالت طائفة : هذه المضاعفة مبيّنة مؤكّدة لما تقدم من ذكر السبعمائة، وليس ثَمّ تضعيف فوق السبعمائة . وقالت طائفة من العلماء : بل هو إعلام بأن الله –تعالى- يضاعف لمن يشاء أكثر من سبعمائة ضعف . قلت : وهذا القول أصح[٤].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٠.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٥.

(٣) سورة الزمر ، الآية : ١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣٠٥/٣ ، تفسير الطبري ٢٦١/٤ ، تفسير البغوي ٢٤٩/٣.

﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه، وبحسب حال النفقة وحِلها ونفعها ووقوعها موقعها. ويحتمل أن يكون ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثر من هذه المضاعفة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فيعطيهم أجرهم بغير حساب[1].

﴿يَشَآءُ﴾ مشيئة الله – عز وجل - مقرونة بحكمته فلا مشيئة لله – عز وجل- مجردة بل تكون دائماً مقترنة بالحكمة، فالله – تعالى – يضاعف لمن يشاء ممن اقتضت حكمته تلك المضاعفة.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (الله) هو الاسم الذي تفرد به الحق – سبحانه وتعالى - وخص به نفسه . وهو علم على ذات الله – عز وجل - وهو أصل الأعلام ، وأسماء الله دائماً تبع لهذا العَلم وهو الأصل، ومستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال.

قال الخليل : الله لا تطرح الألف من الاسم إنما هو الله – عز ذكره - على التمام ، قال : وليس هو من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل كما يجوز في الرحمن الرحيم .

وروى المنذري عن أبي الهيثمي أنه سأله عن اشتقاق اسم الله – تعالى - في اللغة فقال : كان حقه إله أدخلت الألف واللام

---

(١) تفسير السعدي ١١٣.

تعريفاً ، فقيل الإلاه ، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها. فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلاً فقالوا (أَلِلاه) فحرّكوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة ، ثم التقا لامان متحركتان فأدغموا الأولى في الثانية فقالوا الله. "[١]

واسم الله يدل على كونه مألوها معبوداً ، تألهه الخلائق تعظيماً ومحبة وخضوعاً له .

﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ اسمان من أسماء الله – عز وجل - يدلان على صفتين من صفاته العلا .

الواسع : واسع – سبحانه - في صفاته وعلمه وفضله وثوابه ورحمته وعظمته وملكه وسلطانه وإحسانه وجوده وكرمه وعطائه وفي كل شيء". فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة؛ لأن الله- تعالى- لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته ومع هذا فهو (عليم) بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحقها ، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته[٢].

---

(١) لسان العرب ٤٦٧/١٣.

(٢) تفسير السعدي ١١٣.

(عليم) ذو علم محيط علمه بكل شيء بالواجبات والممتنعات والممكنات. والعلم: نقيض الجهل، والعلم إدراك الشيء إدراكاً جازماً وهو أعلى الدرجات ،ثم يأتي بعده الظن وهو: إدراك طرف العلم إدراكاً راجحاً على نقيضه، ثم الشك وهو: تساوي الطرفين فلا ترجيح لأحدهما على الآخر، ثم الجهل وهو: انعدام طرف العلم بالكلية .

الآية : ٢٦٢

قال- تعالى- :﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ لما تقدم في الآية التي قبل هذه ذكر الإنفاق في سبيل الله على العموم، بيّن في هذه الآية أن ذلك الحكم إنما هو لمن لم يتبع إنفاقه مناً ولا أذى[1]، استئناف جيء به لبيان كيفية الإنفاق الذي بيّن فضله[2] أي هو إنفاق الذين ينفقون ثم لا يتبعون ما أنفقوا ما يبطل ذلك الإنفاق .

وإعادة قوله:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إظهار للاهتمام

---

(١) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/ ٣١١.

(٢) روح المعاني ٢/٣٣.

بهذه الصلة[١]. وهذه الآية تشير إلى ما سبق بيانه من فضيلة الإخلاص في الإنفاق وفضيلة الاتباع .

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ في إعرابها وجهان[٢] أحدهما : أن يكون مرفوعاً بالابتداء وخبره الجملة من قوله (لهم أجرهم) والثاني : أن ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي : هم الذين ينفقون . وفي قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ على هذا وجهان: أحدهما: أنها في محل نصب على الحال والثاني: - وهو الأولى- أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب كأنها جواب سائل قال : هل لهم أجرهم ؟

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ ﴾ ثم للتراخي والترتيب " التراخي في الزمان نظراً للغالب من أن وقوع المن والأذى يكون بعد الإنفاق بمدة. وقيل: المراد التراخي في الرتبة وأن رتبة عدمها أعظم في الأجر من رتبة الإنفاق "[٣] وهي موجبة للترتيب ، لكن بمهلة وفصل[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ٣/٤٢.

(٢) ينظر الدر المصون/السمين الحلبي ١/٦٣٥/٦٣٦.

(٣) الفتوحات الإلهية/الجمل ١/٢١٨.

(٤) الواضح في أصول الفقة/لأبي الوفاء ابن عقيل ١/١١٦ ، وينظر حاشية الدسوقي ١/١٢٧، ومتن مغني اللبيب/ابن هشام ١/١٢٧ بهامش الحاشية، شرح ابن عقيل ٢/٢٢٧.

وصاحب الكشاف يحملها على التفاوت في المراتب، والتباعد بينها[1]. وقد عطف بـ (ثم) بدلاً من الواو لإظهار علو رتبة المعطوف عليه .

﴿لَا يُتۡبِعُونَ﴾ أتْبَعه الشيء: جعله له تابعاً، وقال الأزهري: التبع ما تبع أثر شيء فهو تبعه[2]. فهم بعدما ينفقون لا يلحق إنفاقهم ما يبطله.

"و ﴿مَآ﴾ من قوله ﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾ يجوز أن تكون موصولة اسمية فالعائد محذوف ، أي: ما أنفقوه، وأن تكون مصدرية فلا تحتاج إلى عائدٍ ، أي : لا يتبعون إنفاقهم."[3]

﴿مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ المن: الاعتداد، والعطاء، والقطع والنقص، والعطية، والذي يسقط من السماء، والذي يوزن به. والأصل فيه القطع والنقص[4]. وكونه من القطع؛ لأن المُنْعِم يقطع من ماله قطعة للمنْعَم عليه. ومنه قوله – تعالى - :﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ أي غير

---

(١) الكشاف/الزمخشري ٣٣٩/١

(٢) ينظر: لسان العرب ٢٧/٨-٢٩

(٣) الدر المصون ٦٣٦/١.

(٤) لسان العرب ٤١٧/١٣-٤١٨.

مقطوع. وكونه من النقص؛ لأنه نقْص من الحق[١] وهو الاعتداد بالإحسان، "ويمن عليه بعطائه، فيقول : أعطيتك كذا، ويَعُد نِعَمَه عليه فيكررها عليه."[٢] على معنى التعديد لها والتقريع بها ، مثل أن يقول : قد أحسنت إليك .. وقيل المن : التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه[٣] .

والمن من كبائر الذنوب كما ثبت ذلك عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حيث روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ – رضي الله عنه – قَالَ: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : « **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ** »[٤].

---

(١) الدرر المصون ٦٣٦/١.

(٢) تفسير البغوي ٢٥٠/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣٠٨/٣.

(٤) صحيح مسلم ٧١/١ كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف . وأبو دواود ٥٧/٤ في اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار ح (٤٠٨٧، ٤٠٨٨) ، والترمذي في البيوع ، باب ما جاء فيمن حلف على سلعة كاذباً (١٢١١) ، والنسائي ٢٤٥/٧ في البيوع ، باب المنفق سلعته =

﴿وَلَآ أَذًى﴾ الأذى أعم من المن وهو السب والتشكي[1]والتطاول عليه بسبب ما أزال إليه[2]، فيعيره ويقول: إلى كم تسأل وكم تؤذيني؟ وقيل: من الأذى أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وقُوفَه عليه. وقال سفيان: ﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾هو أن يقول قد أعطيتك فما شكرت[3] إذاً المن هو ما كان بين المنفق والمنفق عليه وإذا ظهر ذلك للناس أصبح أذى. وكلها من كبائر الذنوب ، ومن الأمور المنهي عنها شرعاً . فالذي يمن على المنفق عليه أو يؤذيه بالقول الدال على منته عليه يبطل أجره بهذا السبب والذي لا يتبع نفقته مناً ولا أذى له الأجر الكامل .

وقدم المن على الأذى لكثرة وقوعه ، وتوسيط كلمة (لا) لشمول النفي لاتباع كل واحد منهما[4]. وتكرير (لا) تنبيه على أن انتفاء كل منهما شرط لحصول الأجر[5].

=

بالحلف الكاذب.

(١) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣٠٨/٣.

(٢) الكشاف ٣٣٩/١.

(٣) تفسير البغوي٢٥٠/٣.

(٤) روح المعاني /الألوسي ٣٣/٣.

(٥) نظم الدرر/البقاعي ٥١٦/١.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر. لم يضمن المبتدأ معنى الشرط فلذلك لم تدخل الفاء في خبره[١]، ولم يتضمن معنى الشرط لأن هؤلاء المنفقين مستحقون للأجر لذواتهم وما ركز في نفوسهم من نية الخير، لا لوصف الإنفاق فإن الاستحقاق به استحقاق وصفي، وفيه ترغيب دقيق لا يهتدى إليه إلا بتوفيق من الله ، وجوز أن يكون تخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان بأن ترتيب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المن والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية[٢]. وفي تكرير الإسناد وتقييد الأجر بقوله (لهم)، (عند ربهم) من التأكيد والتشريف ما لا يخفى[٣].

﴿ أَجْرُهُمْ﴾ الأجر هو: الجزاء على العمل، والإجارة: من أَجَر يَأْجر،وهو ما أعطيت من أجر في عمل، وآجَرَه يُؤْجِره إذاَ أثابه وأعطاه الأجر والجزاء، والأُجْرَة :الكراء، والأجر: الثواب[٤] إذاً

(١) الدر المصون ١/٦٣٥.

(٢) روح المعاني/الألوسي ٣/٣٣-٣٤.

(٣) روح المعاني/الألوسي ٣/٣٢.

(٤) ينظر :لسان العرب ٤/١٠.

الأجر: هو ما يتقاضاه العامل مقابل عمله والمراد هنا: ثوابهم[1] ولا شك أن كل إنسان يلتزم بأداء ما عليه من أجر للأجير ويلتزم كذلك أداءه في وقته.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**»[2].

وقد سمى الله – عز وجل - الثواب أجراً ، لأنه – سبحانه - قد

---

(١) تفسير البغوي ٣/٢٥٠.

(٢) رواه ابن ماجه ص ١٧٨ كتاب الأحكام، باب أجر الأجراء، ح (٢٤٣٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٩٨٠) وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٧٨:رواه أبوهريرة والمتن مع غرابته يكتسب بكثرة طرقه قوة . وقال عن حديث ابن عمر : فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وبقية رواته ثقات ص٣/٧٨. وقال ابن حجر: حسن.هداية الرواة/ابن حجر (المقدمة) ٣/٢٠٨.وقال الهيثمي:إسناده حسن . الزواجر/الهيثمي المكي ١/٢٦٣.وقال المحدث محمد بن محمد الغزي : إسناده جيد.إتقان ما يحسن ١/٨٧.وقال الألباني : صحيح ، إرواء الغليل (١٤٨٨).وقال الألباني: حسن، صحيح الجامع (١٠٥٥) وقد ذكر الألباني أنه صحيح لغيره. ينظر : صحيح الترغيب (١٨٧٧) ، وينظر: مشكاة المصابيح (٢٩١٨).قال الزيلعي في نصب الراية ٤/١٣١ : ومعنى الحديث أخرجه البخاري في الإجارات ، باب إثم من منع أجر الأجراء ١/٣٠٢.

تكفل لهذا المنفق المخلص في نفقته والذي قد سلمت نفقته من المحبطات:كالمن والأذى بأن يجزيه على عمله هذا ، فصار بذلك مثل أجر الأجير ملتزماً بأدائه ووفائه.

وفي تقديم الخبر (لهم) على المبتدأ (أجرهم) حصرالأجر عليهم؛ لأن كل ما من حقه التأخير إذا تقدم فإنه يفيد الحصر .

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ مدَّخر عند ربهم. المحسن إليهم بتربيتهم، والذي يقبل نفقاتهم الخالصة له – سبحانه وتعالى - وينميها لهم يوم القيامة، ويخلفها عليهم في الدنيا كما قال – عز من قائل -:﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1].

﴿ عِندَ ﴾ قد يراد به الالتزام كما يقال: عندي لفلان مبلغ من المال، فأنا ملتزم بوفائه . والله – عز وجل - ملتزم بوفاء هذا الأجر كما وعد بذلك. وقد يراد به المكان فهم قريبون من الله – عز وجل – في الجنة وفي الفردوس الذي سقفه عرش الرحمن .

﴿ رَبِّهِمْ ﴾ الرب هو: الله – عز وجل - وهو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة[2].

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣٩.

(٢) لسان العرب ١/٣٩٩.

واختلف في اشتقاقه ، فقيل: إنه مشتق من التربية ، فالله – سبحانه وتعالى - مدبر لخلقه ومربيهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْبُكُمُ ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾[1] فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل ، وعلى أن الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات[2] .

ومنه قوله- تعالى-: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[3] وإضافة الضمير إلى (رب) تشريفاً وتكريماً لهم " ففيه تأكيد وتشريف"[4].

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المراد بيان انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما[5].

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من هضيمة تلحقهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فائت؛ لأن ربهم – سبحانه وتعالى - لم يترك شيئاً من الفضل اللائق بهم إلا أوصله إليهم[6] وقد نفى عنهم الخوف بعد موتهم لما

---

(١) سورة النساء ، الآية ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ١/١٣٧.

(٣) سورة يوسف، الآية ٤٢.

(٤) فتح القدير/الشوكاني ١/٢٨٤.

(٥) روح المعاني/الألوسي ٣/٣٤.

(٦) نظم الدرر/البقاعي ١/٥١٦ .

يستقبل، والحزن على ما سلف من دنياهم، لأنهم يغتبطون بآخرتهم[١]،فهذا من كمال النعيم؛ لأن من فاته النعيم بالكلية يتمنى لو عمل لهذا النعيم حتى يناله، ومن فاته كمال النعيم يتمنى لو عمل حتى يتم له هذا النعيم. ولكن الله – عز وجل - نفى الخوف والحزن عنهم لأنهم في كمال النعيم وتمامه ولا يشعرون بنقص ولا بحزن ولا بخوف حتى ولو كانوا في منازل في الجنة دون المنازل العالية. فأهل الجنة يرون أنه لا أحد أنعم منهم على اختلاف درجاتهم، بينما أهل النار يرون أنه لا أحد أشقى منهم على اختلاف دركاتهم . إذاً المخلصون في أعمالهم ونفقاتهم لا يحزنون على ما فات ولا يهتمون بما هو آت؛ لأن الذي يحزن على الفائت، لا شك أن ذلك ينقص نعيمه وينغص عليه حياته. كذلك الخائف لا يتم له نعيمه؛ لأنه لا يدري ماذا يحدث له في مستقبل أمره فلا يهنأ له بال . وهؤلاء المخلصون " لا خوف عليهم" عند مقدمهم على الله –جل ثناؤه- وفراقهم الدنيا ، ولا في أهوال القيامة ، أن ينالهم من مكارهها ، أو يصيبهم فيها من عقاب الله، "ولا هم يحزنون"

(١) المحرر الوجيز ٣١٣/٢ .

على ما خلفوا وراءهم في الدنيا"[1].

﴿ وَلَا خَوْفٌ ﴾ ظاهره نفي الخوف عنهم في الدارين؛ لما تفيده النكرة الواقعة في سياق النفي من الشمول[2].

الآية ٢٦٣

قال- تعالى -:﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾، هذه الآية مقررة لقاعدة شرعية: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) فالخير لا يكون طريقاً إلى الشر ، فالسلم والولاء وحسن الخلق خير من العداوة والبغضاء .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ فيه ثلاثة أوجه[3]:

أحدها : أنه مبتدأ ، وساغ الابتداء بالنكرة لوصفها وللعطف عليها .

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ عطف عليه، وسَوّغ الابتداء بها العطف أو الصفة المقدرة، إذ التقدير : ومغفرة من السائل أو من الله. و ﴿ خَيْرٌ ﴾ خبر عنهما .

قال أبو البقاء :"والتقدير: وسبب مغفرة؛ لأن المغفرة من الله، فلا

---

(١) جامع البيان/الطبري ٤/٦٥٧ .

(٢) فتح القدير/الشوكاني ١/٢٨٤ .

(٣) الدر المصون ١/٦٣٦ .

تفاضل بينها وبين فعل عبده، ويجوز أن تكون المغفرة مجاوزة المزكي واحتماله للفقير، فلا يكون فيه حذف مضاف[١].

والثاني : أن ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف أي : أمثل أو أولى بكم ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ مبتدأ ، و ﴿خَيْرٌ﴾ خبرها ، فهما جملتان ، ذكره المهدوي وغيره.

وقال ابن عطية على ذلك : وفي هذا ذهاب برونق المعنى[٢].

والثالث :أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : المأمور به قول معروف .

﴿قَوْلٌ﴾ هو ما نطق به اللسان

﴿مَّعْرُوفٌ﴾ المعروف : ضد المنكر وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنَّات والمقبَّحات[٣]. وهو الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله ، خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة وفي باطنها لاشيء؛ لأن ذلك القول المعروف فيه أجر وهذه لا أجر فيها[٤]. والقول المعروف هو ما كان معروفاً في الشرع ،

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٨ .

(٢) المحرر الوجيز/ ابن عطية ٢/٣١٣ .

(٣) لسان العرب/ابن منظور ٩/٢٣٩-٢٤٠ .

(٤) المحرر الوجيز/ ابن عطية ٢/٣١٣ .

ومعروفاً في العرف ، أي يعرفه الناس ولا ينكرونه، وتنكير ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ للتقليل، أي أقل قول معروف خيرمن صدقة يتبعها أذى."[1] فأيّ كلام طيب و معروف مثل الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله ، خير من الصدقة المتبعة بأذى، والقول المعروف فيه أجر، كما ثبت ذلك عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **كُلُّ سُلَامَى مِن النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ قَالَ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ** »[2]. وله عن عمرو بن خيثمة عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه - قال : ذكر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ** »[3]. قال ابن بطال: وجه كون

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٤٧/٣ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٣٢/٦ ، كتاب الجهاد، باب من أخذ بالركاب وغيره ح (٢٩٨٩) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٤٨٨/١٠ ، كتاب الأدب، باب طيب الكلام ح(٦٠٢٣) ، =

الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذي يعطاه ويذهب ما في قلبه، وكذلك الكلام الطيب فاشتبها من هذه الحيثية[١].

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ المغفرة الستر للخلة وسوء حالة المحتاج ، والتغطية ، قال النقاش : يقال معناه ومغفرة للسائل إن أغلظ أو جنا إذا حُرِم[٢]، وقيل المراد : العفو من جهة السائل؛ لأنه إذا رده رداً جميلاً عذره ، وقيل المراد : فعل يؤدي إلى المغفرة خير من صدقة: أي غفران الله خير من صدقتكم[٣]والذي يترجح - والله تعالى أعلم - أن المراد: مغفرة لمن أساء إليك بترك مؤاخذته والعفو عنه ، ويدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي ، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضاً بترك المؤاخذة، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمنّ

=

وصحيح مسلم ٨٦/٣، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، والترمذي في صفة القيامة في القيامة في شأن القصاص ح (٢٤٢٧).

(١) فتح الباري/ابن حجر ٤٤٩/١٠

(٢) المحرر الوجيز/ ابن عطية ٣١٣/٢، وينظر: لسان العرب ٢٥/٥.

(٣) فتح القدير/الشوكاني ٢٨٥/١ ، وينظر فتح الباري ٢٧٨/٣.

أو غيره. ومفهوم الآية أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف والمغفرة[1]. إذاً القول المعروف إحسان ، والمغفرة إحسان، ولكن الفرق بينهما : أن القول المعروف : إسداء المعروف إلى الغير ، بينما المغفرة: تجاوز الإنسان عن حقه مع غيره. والمغفرة والتجاوز عن الغير أمر محبب شرعاً، لقوله – تعالى -: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [2]،وقوله : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [3].

﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾.

﴿ خَيْرٌ ﴾ عند الله. وقيل خير للسائل

﴿ مِّن صَدَقَةٍ ﴾ الصدقة: ما تصدقت به وأعطيته في ذات الله للفقراء[4] وهي بذل الإحسان المالي .

﴿ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ الجملة في محل جر صفة لصدقة . فلا شك إذاً أن القول المعروف خير من الصدقة التي يتبعها أذى وإن نفعت هذه الصدقة صاحبها (المتصدق عليه)؛ لأن هذا الإحسان المالي صار

---

(١) تفسير السعدي ١١٣ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٤٣ .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ٣٧ .

(٤) لسان العرب/ابن منظور ١٠/١٩٦ .

في الحقيقة إساءة ، فلو سلم من هذه الصدقة ومما يتبعها من أذى لكان خيراً له.

ولم يعد ذكر المن واكتفى بذكر الأذى، وذلك لأن الأذى يشمل المن وغيره .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ .. ﴾ الآية، والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والأذى، وإنما لم يذكر المنّ؛ لأن الأذى يشمله وغيره ، وذكره فيما تقدم اهتماماً به؛ لكثرة وقوعه من المتصدقين وعسر تحفظهم عنه[1] .

﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾

﴿ غَنِىٌّ ﴾ له الغنى المطلق من جميع الوجوه لكماله وكمال صفاته ، غني بذاته عن جميع الخلق،وهم محتاجون إليه ،وهو سبحانه قد أخبر أنه غني عن صدقة العباد ، وإنما أمر بها ليثيبهم[2].

﴿ حَلِيمٌ ﴾ الحِلْم : الصفح وتأجيل العقوبة . فالله - عز وجل- له الحلم الكامل الذي وسع جميع خلقه حيث يمهلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم، لأن الذنوب تقتضي ترتب

(١) روح المعاني/الألوسي ٣/٣٤ .

(٢) شرح أسماء الله الحسنى/القحطاني٩٩.

آثارها عليها من العقوبة العاجلة، ولكن حلمه – سبحانه - هو الذي اقتضى إمهالهم[1]

وقد ختم الله - سبحانه وتعالى - بهذين الاسمين؛ لأن الآية في مقام الإنفاق ، فالله هو الغني يخلف على المنفق نفقته التي أنفقها ، ولكمال غناه يتجاوز عمن أساء وذلك بمغفرة ذنوبه .

وقد علمنا فيما سبق أن المن والأذى من كبائر الذنوب . ولكن الله – عز وجل- يؤخر العقوبة عن أهل المعاصي ويفتح لهم باب التوبة ليتوب عليهم فناسب ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين .

الآية: ٢٦٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾

هذه الآية الثالثة التي يتأكد فيها النهي عن إتباع الصدقات بالمن والأذى .

الآية الأولى قوله- تعالى -:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا

---

(١) المرجع السابق١٠٥ ـ ١٠٦ .

﴿ يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

الآية الثانية قوله – تعالى – : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[2]

الآية الثالثة قوله – تعالى – :﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ ﴾[3].

فالآية الأولى: ذُكر فيها عظم أجر المنفق في سبيل الله الذي لم يتبع صدقته بالمن والأذى .

والآية الثانية : ذكر فيها أن القول المعروف أفضل من الصدقة التي يتبعها أذى .

والآية الثالثة : ذكر فيها أن اتباع الصدقة بالمن والأذى مبطل لها ومحبط لأجرها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تصدير الخطاب بالنداء يدل على أهمية المخاطب به، لأن النداء يقتضي التنبيه، والتنبيه لا يكون إلا في الأمور

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

الهامة . كما أن هذا النداء خصّ بالمؤمنين ، وقد قال ابن مسعود- رضي الله عنه - : إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فأرعها سمعك، فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه .

وإذا صُدّر النداء بالذين آمنوا دل ذلك على[1]:

١-أن التزام ما ذكر من مقتضيات الإيمان سواءً كان أمراً أو نهياً.

٢-أن عدم امتثاله نقص في الإيمان .

٣-يفيد الحث والإغراء، كأنه يقول : يا أيها الذين آمنوا لإيمانكم افعلوا كذا وكذا. " أي يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله ."[2]

﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾ الإبطال : بَطَلَ الشيء يَبْطُل : أي ذهب ضياعاً وخُسْراً ، فهو باطل[3]. والإبطال: هو جعل الشيء باطلاً أي زائلاً غير نافع لما أريد منه. فمعنى بطلان العمل عدم ترتب أثره الشرعي عليه سواءً كان العمل واجباً أم كان متطوعاً به[4] فإبطال الصدقات : إذهاب أثرها وإفساد منفعتها إما بالمن أو بالأذى أو بهما، فإنهما

---

(١) شريط لشيخنا الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله - .

(٢) جامع البيان/الطبري ٤/٦٥٨ .

(٣) ينظر لسان العرب/ابن منظور ١١/٥٦ .

(٤) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٤٧ .

إساءتان ينافيان الإحسان المعتبر في الصدقة "[١]. والإبطال لا يكون إلا بعد حصول الفعل. فإذا تصدق أحد بصدقة فقد حصل الأجر ، ولكن إذا منّ أو آذى بطل ذلك الأجر .

فالإبطال لا يكون في الغالب إلا فيما تم فالمراد " لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى."[٢] ويستدل بهذا النهي في - الآية الكريمة – على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال – تعالى -: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[٣] فكما أن الحسنات يذهبن السيئات ، فالسيئات تبطل ما قبلها من الحسنات وفي هذه الآية مع قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[٤]حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها؛ لئلا يضيع العمل سدى[٥] .

﴿ صَدَقَاتِكُم ﴾ الصدقة :ما تصدقت به على الفقراء ، وما أعطيته في ذات الله[٦] تقرباً إليه.

---

(١) تفسير القاسمي ٣/٣٢٩ .

(٢) جامع البيان/الطبري ٤/٦٥٩ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٢ .

(٤) سورة محمد ، الآية : ٣٣ .

(٥) تفسير السعدي ١١٣.

(٦) لسان العرب ١٠/١٩٦ .

وسميت صدقة لأنها تدل على صدق صاحبها .

﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ الباء للسببية. والمن: الإنعام والمن النعمة الثقيلة. والأذى: الإساءة والتطاول والسب والتعيير بالقول أو الفعل.

﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الكاف في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف، وفي الكلام حذف مضاف ، تقديره : إبطالاً كإبطال الذي ينفق. ويجوز أن يكون في موضع الحال من ضمير الفاعلين؛ أي لا تبطلوا صدقاتكم مُشْبهين الذي ينفق ماله، أي مشبهين الذي يبطل إنفاقه بالرياء[1].

والكاف للتشبيه، والمشبه به الذي ينفق ماله رئاء الناس ". والموصول من قوله: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ مراد به جنس وليس المراد به معيناً ولا واحداً. والغرض من هذا التشبيه تفظيع المشبه به ، وليس المراد المماثلة في الحكم الشرعي "[2].

﴿يُنفِقُ﴾ الإنفاق : الإخراج والبذل .

﴿مَالَهُۥ﴾ ما يتموله الإنسان من أعيان ومنافع .

﴿رِئَآءَ﴾ بهمزتين فِعال من راءى . وهو مصدر راءى يرائي رَئاءً

---

(١) التبيان/العكبري ١/١٧٨ .

(٢) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٤٨ .

ومراءاةً مثل قاتل يقاتل قتالاً و مقاتلة". وهو أن يكثر من إظهار أعماله الحسنة للناس. فصيغة الفِعال فيه للمبالغة والكثرة. وأولى الهمزتين أصلية والأخيرة مبدلة عن الياء بعد الألف الزائدة. ويقال رياء – بياء بعد الراء – على إبدال الهمزة ياء بعد الكسرة "[١].

و﴿رِئَآءَ﴾ فيه ثلاثة أوجه[٢]:

أحدُها : أنه نعت لمصدر محذوف تقديره : إنفاقاً رئاء الناس ، كذا ذكره مكي .

والثاني : أنه مفعول من أجله أي : لأجل رئاء الناس ، واستكمل شروط النصب .

والثالث : أنه في محل حال ، أي : ينفق مرائياً .

والمصدر مضاف إلى المفعول[٣] وهو بمعنى اسم الفاعل[٤].

والرياء مبطل للعمل . فمن لم يقصد بعمله وجه الله رُد عمله عليه، كما ورد في الحديث القدسي الذي رواه مسلم بسنده عَنْ أَبِي

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور٣/٤٨ .

(٢) الدر المصون/السمين الحلبي ١/٦٣٧ وينظر : التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٨، الفتوحات الإلهية ١/٢١٩ .

(٣) البيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٨.

(٤) الفتوحات الإلهية ١/٢٢٠.

هُرَيْرَةَ– رضي الله عنه - قال: سمعت رَسُول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يقول: قال اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : « **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** »[1]. وفي هذا حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها. لأن المن والأذى يبطلان الأعمال ، فتصير الأعمال بمنزلة من عمل مرائياً . ولا شك أن المرائي عمله مردود من أصله؛ لانتفاء شرط الإخلاص ، فالمرائي عمل للناس ولم يعمل لله؛ لذلك يُرد عمله ويرآءى به كما راءى هو غيره.

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :« **مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ** » قال المناوي: أي يظهر سريرته على رؤوس الخلائق؛ ليفتضح[2] أ.هـ .

---

(١) صحيح مسلم ٢٢٣/٨ كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله ٢٣٣/٨ ح (٢٩٨٥).

(٢) صحيح مسلم ٢٢٣/٨، كتاب الزهد والرقاق ، باب من أشرك في عمله غير الله (تحريم الرياء) ، صحيح البخاري مع الفتح ٣٣٦/١١ كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه من صغار الصحابة واللفظ لمسلم.

﴿ٱلنَّاسِ﴾ أصله أناس وحذفت همزته تخفيفاً . ولم يجعلوا الألف واللام فيه عوضاً من الهمزة المحذوفة؛ لأنه لوكان كذلك لما اجتمع مع المعوض، واللام الداخلة عليه للجنس . وهو من النوس: أي الحركة ، يقال: ناس ينوس، أي: تحرك ، وهو من أسماء الجموع جمع إنسان على غير لفظه[1] .

﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الإيمان لغة: التصديق، وشرعاً التصديق مع القبول والإذعان. وهو إقرار واعتراف بالشيء وهو أخص من التصديق، والتصديق ليس كافياً ، كفرعون حين صدق بموسى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2]،والإيمان بالله يشمل أربعة أشياء :

الإيمان بوجود الله ، والإيمان بربوبيته ، والإيمان بألوهيته ، والإيمان بأسمائه وصفاته .

فالذي لا يؤمن بواحد منها ليس مؤمناً بالله ، لكن منها ما ينتفي الإيمان به انتفاء كاملاً ومنها ما ينتفي به كمال الإيمان . وهذا الذي ذكره الله هنا وهو المنافق الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا

---

(١) ينظر لسان العرب ٦/٢٤٥ ، فتح القدير ١/٤٠.

(٢) سورة النمل ، الآية ١٤.

ينفق إلا مرآءةً للناس، ومع ذلك لا ينفق إلا وهو كاره كما في قوله – تعالى – :﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[1].

فهم كارهون الإنفاق؛ لأنهم لا يرجون من هذا الإنفاق ثواباً إذ إنه لا إيمان عندهم[2] ولا يخشون عقاباً[3] .

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ قال ابن فارس :

(أخر) الهمزة والخاء والراء أصل واحد صحيح ، إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدم .

وقال الخليل : " فعل الله بالآخِر أي بالأبعد ، وابن دريد يقول : الآخر تالٍ للأول "[4]

وقال ابن منظور: الآخر والآخرة نقيض المتقدم والمتقدمة ، ومعنى (آخر) شيء غير الأول، وأُخر جمع أخرى، وأخرى تأنيث آخر[5].

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٥٤.

(٢) شريط مسجل للشيخ ابن عثيمين – يرحمه الله – وينظر : القول المفيد/ابن عثيمين ٤٠٩/٢.

(٣) روح المعاني/الألوسي ٣٥/٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة/ابن فارس ٧٠/١ تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، الطبعة الأولى.

(٥) لسان العرب/ابن منظور ١٢/٤-١٤.

وقال الراغب الأصفهاني : آخر يقابل به الأول ، وآخَر يقابل به الواحد[١] واليوم الآخر هو يوم القيامة وسمى بذلك لأنه لا يوم بعده.

واليوم الآخر في المعنى الاصطلاحي له معنيان[٢]:

١-باعتبار الناس أجمعين: عند نفخة الصور الثانية، وهو ما يحصل من النفخ بالصور إلى استقرار الناس في الجنة أو النار ، قال – تعالى – :﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾[٣] فإذا نفخ في الصور وقعت الواقعة وهي القيامة الكبرى .

٢-باعتبار الفرد: وهو ما يحصل للإنسان من ساعة الاحتضار إلى دخول الجنة أو النار. فمن مات فقد دخل في أول منازل الآخرة .

ولكن الأول هو المراد باليوم الآخر . ولم أجد من قال: إن الإنسان إذا مات انتقل إلى اليوم الآخر بل هو في حياة

(١) مفردات ألفاظ القرآن/الراغب الأصفهاني ٦٨ ، دار القلم

(٢) ينظر : النهاية في الفتن والملاحم/ابن كثير ١/١٥ ، وأشراط الساعة/الوابل ٧٤.

(٣) سورة الحاقة ، الآيات ١٣-١٥.

البرزخ إلى أن تقوم الساعة .

وقد ورد مايؤيد ذلك من الأدلة الصريحة . فقد أخرج الإمام أحمد – رحمه الله – في مسنده عَنِالبرَاءَ بنْ عازِبٍ – رضي الله عنه – قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ – رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُلْحَدْ بَعْدُ فَجَلَسَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَجَلَسْنَا مَعَهُ .... حتى قال: ((**فيقول : رب لَا تُقِم السَّاعَةَ**))[1].

---

(١) الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد ٥٠٣/٣٠ رقم (١٨٥٣٤) قال محقق الكتاب:إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة ٣١٠/٣ ، وهناد في الزهد (٣٣٩)، والمروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية ص٢٩ ، وأبو داود ٢٣٩/٤ (٤٧٥٣)، والطبري في التفسير (٢٠٧٦٤) ، وفي تهذيب الآثار (٧٢١)، وابن خزيمة في التوحيد ١١٩، وأبو عوانة في إتحاف المهرة ٤٥٩/٢ (٢٠٦٣)، والآجري في الشريعة ص ٣٦٧-٣٧٠ ، وابن منده في الإيمان (١٠٦٤)، والحاكم في المستدرك ٣٧/١-٣٨، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢١٤٠) والبيهقي في الشعب (٣٩٥) من طريق أبي معاوية بهذا الإسناد ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . وأخرجه الطيالسي (٧٥٣)، وأخرجه النسائي في المجتبى ٧٨/٤ ، وابن ماجه (١٥٤٩) من طريق عمرو بن قيس عن المنهال به . وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٢٢١) =

فهذا يدل على أن اليوم الآخر هو بقيام الساعة لا بموت الإنسان والعلم عند الله.

وفي هذه الآية إثبات اليوم الآخر ، وأن من رآءى الناس بإنفاقه ففي إيمانه بالله واليوم الآخر نقص لقوله – تعالى -: ﴿ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ فلو كان مؤمناً حقاً لجعل عمله خالصاً لوجه الله ولم يجعل عمل الآخرة للدنيا . بل الذي ينبغي الإخلاص في العمل لله – عز وجل - لنيل الثواب في اليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء .

"ولما ضرب مثلاً لنماء النفقة بالحرث ضرب مثلاً لإبطالها بخطأ الحارث في الحرث فقال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ في إنفاقه مقارناً لما يفسده، ومثل نفقته ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ وما زرع عليه "[1]. "ودخلت الفاء في

=

وقال : حديث حسن رواته محتج بهم في الصحيح . وقال ابن حزم في المحلى ٢٢/١ : لم يروِ أحد أن في عذاب القبر ردَّ الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي ، فتعقبه ابن القيم في الروح ص ٧٦ بقوله : هذا من مجازفته، وقال : الحديث صحيح لا شك فيه . وأورده الهيثمي في المجمع ٤٩/٣-٥٠ وقال : هو في الصحيح باختصار ، رواه الإمام أحمد ، ورجاله رجال الصحيح وقال أحمد شاكر : قد أطال الإمام ابن القيم القول في تصحيحه ، والرد على من أعله في تهذيب السنن ١٣٩/٧-١٤٦ (٤٥٨٦) ينظر : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية /لابن أبي العز الحنفي ص ٣٩٤ تحقيق أحمد محمد شاكر.

(١) نظم الدرر/البقاعي ٥١٧/١.

قوله ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ لربط الجملة بما قبلها "[1].

ومثله: المثل تقدم، ويراد به هنا التشبيه لوجود المشبه والمشبه به.

"والهاء" في (فمثله) فيها قولان :

أظهرهما: أنها تعود على الذي ينفق رئاء الناس لأنه أقرب مذكور.

والثاني: أنها تعود على المان المؤذي ، كأنه - تعالى - شبهه بشيئين: بالذي ينفق رئاءً، وبصفوان عليه تراب، ويكون قد عدل من خطاب إلى غيبة ، ومن جمع إلى إفراد ."[2] والمعنى لا يختلف على كلا الاحتمالين؛ لأن الله شبه الذي يبطل نفقته بالمن والأذى بالذي ينفق ماله رئاء الناس فمثل المشبه به هو مثل المشبه .

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ﴾ مبتدأ وخبر[3].

﴿صَفْوَانٍ﴾ الصَّفْوان جمع، واحده صَفْوانة، قاله الأخفش، قال : وقال بعضهم: صفوان واحد ، مثل حجر . وقال الكسائي : صفوان واحد، وجمعه صِفْوان وصُفيّ وصِفِيّ، وأنكره المبرد وقال: إنما صُفِي جمع صَفَا كقفا وقُفِيّ، ومن هذا المعنى الصَّفْواء والصَّفَا .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٨.

(٢) الدر المصون ١/٦٣٧

(٣) الدر المصون/١/٦٣٧ ، الفتوحات الإلهية ١/٢٢٠.

ابن سيده: الصفاة الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً. قال النحاس: صَفْوان وصَفَوان يجوز أن يكون جمعاً ويجوز أن يكون واحداً، إلا أن الأولى به أن يكون واحداً لقوله عز وجل﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ﴾[١]. فالصفوان هو الحجر الكبير الأملس الذي لا يمسك ماء ولا ينبت كلأ. قال البخاري: وقال ابن عباس: الصفوان: الحجر ، ويقال الحجارة الملس التي لا تنبت شيئاً[٢].

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ في موضع جر صفة لصفوان، ولك أن ترفع تراباً بالجر (أي فاعل به)، لأنه قد اعتمد على ما قبله، وأن ترفعه بالابتداء[٣].

﴿تُرَابٌ﴾ التراب معروف، وتربة الأرض: ظاهرها. وأترب الشيء وضع عليه التراب، وتَتَرَّب: لزق به التراب، وتلوث بالتراب، وتَرِبَ الرجل: صار في يده التراب، ورجل تَربٌ لا مال له، أي فقير. والمَتْرِبَةُ: المَسْكَنَةُ، والفاقة ومنه: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٤] أي لاصق بالتراب .

---

(١) ينظر : لسان العرب ٤٦٤/١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٣١٣/٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٧٥/٨، كتاب التفسير ، باب قوله (إن الصفا والمروة .. الآية).

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١٧٨/١ ، وينظر الدر المصون ٦٣٧/١.

(٤) سورة البلد ، الآية ١٦.

وأترب: استغنى وكثر ماله، فصار كالتراب[1] والترائب عظام الصدر؛ لأنها متشابهة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[2].

﴿فَأَصَابَهُۥ﴾ الفاء، عاطفة على الجار؛ لأن تقديره: استقر عليه تراب فأصابه. وألف (أصابه) منقلبة عن واو؛ لأنه من صاب يصوب[3].

والضمير في ﴿فَأَصَابَهُۥ﴾ يعود على الصفوان، وقيل على التراب، وأما الضمير في ﴿فَتَرَكَهُۥ﴾ فعلى الصفوان فقط[4].

﴿وَابِلٌ﴾ أي مطر شديد، سريع التتابع " عظيم القطر"[5]. وقد وَبَلَت السماء تَبِل، والأرض موبولة. قال الأخفش: ومنه قوله – تعالى - : ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[6] أي شديداً. وضرب وبيل، وعذاب وبيل أي: شديد[7]. قال النضر بن شميل: أول ما يكون المطر رشاً ثم طشاً ، ثم طلاً ورذاذاً ثم نضخاً وهو قطر بين قطرين، ثم هطلاً

---

(١) ينظر لسان العرب ١/٢٢٨-٢٢٩ .

(٢) ينظر لسان العرب ١/٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٩.

(٤) الدر المصون ١/٦٣٨.

(٥) تفسير البغوي ٣/٢٥١.

(٦) سورة المزمل ، الآية ١٦.

(٧) الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ٣/٣١٣.

وتهتاناً ثم وابلاً وجوداً[١]. فإذا أصاب هذا الوابل التراب الذي على الصفوان فسوف يزول هذا التراب لذا قال الله :

﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ترك هنا يتعدى إلى مفعولين؛ لأن المعنى صيره. قال ابن عباس :﴿صَلْدًا ﴾ليس عليه شيء[٢]، والصَّلْدُ من الحجارة:الصُّلْبُ الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، وهو من الأرضين: ما لا ينبت فيه شيء، وكذلك من الرؤوس[٣]. كذلك أعمال المنافقين بمنزلة الصفوان الذي كان عليه تراب ، فأصابه الوابل من المطر، فذهب بما عليه من التراب ، فتركه نقياً لا تراب عليه ولا شيء، يراهم المسلمون في الظاهر أن لهم أعمالاً ،كما يُرى التراب على هذا الصفوان، بما يُراؤونهم به، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله – جل جلاله – اضمحل ذلك كله. لأنه لم يكن لله، كما أذهب الوابل من المطر ما كان على الصفوان من التراب، فتركه أملس لا شيء عليه ، فذلك قوله: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ ﴾[٤] أي تركه الرياء لا يقدر على شيء مما قدم. فوجه الشبه إذاً: أن الذي ينفق

(١) الدر المصون ١/٦٣٨.

(٢) فتح الباري/ابن حجر ٣/٢٧٧ ، كتاب الزكاة ، باب الرياء في الصدقة.

(٣) جامع البيان/الطبري ٤/٦٦١.

(٤) المرجع السابق ٤/٦٦٢.

ماله رئاءً يظن من رآه أنه سينتفع بذلك، كما يظن من رأى التراب على الحجر الأملس أنها أرض خصبة قابلة للنبات، ولكن الوابل يصيبها فيتركها صلدة ملساء ليس فيها ما يصلح للنبات .

﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ مستأنف لا موضع له. وإنما جُمع هنا بعد ما أفرد في قوله :﴿كَالَّذِى﴾، وما بعده؛ لأن (الذي) هنا جنس، فيجوز أن يعود الضمير إليه مفرداً وجمعاً. ولا يجوز أن يكون حالاً من الذي؛ لأنه قد فصل بينهما بقوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ وما بعدها[1].

إذاً: صح عود واو الجماعة في ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ على الذي في ﴿كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ ؛ لأن الذي اسم موصول يفيد العموم فهو بصيغته اللفظية مفرد، وبدلالته المعنوية جمع وذلك لعمومه. وهؤلاء المراؤون يحاولون الانتفاع بما أنفقوا، ولكن أنى ينفعهم ذلك؟. فهم يتذكرون إنفاقهم ويأملون الانتفاع به، ولكن لا يقدرون عليه؛ لأن الله – عز وجل - قد أبطل إنفاقهم بسبب الرياء وعدم الإخلاص. وإنفاقهم يضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب الذي على الصفوان ؛لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٩.

﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ أي على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم وهو كسبهم عند حاجتهم إليه إذ كان لغير الله، فعَبّر هنا عن النفقة بالكسب؛ لأنهم قصدوا بها الكسب[١]، وباعتبار ما ظنوه بأنهم سينتفعون به.

وفي قوله: ﴿لَا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ دليل أنهم يحاولون الانتفاع بهذا الشيء، ولكنهم لا يستطيعون ذلك. وهذا أشد حسرة؛ لأن عدم الشيء أهون من وجود الشيء مع عدم القدرة عليه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

﴿يَهۡدِي﴾ الهدى: ضد الضلال، وهو الرشاد، والدلالة. قال بعضهم: هداه الله الطريق، وهي لغة أهل الحجاز، وهداه للطريق وإلى الطريق هِداية، وهداه يَهْدِيه هِداية إذا دله على الطريق[٢] وقد وردت الهداية في القرآن على معانٍ أربعة[٣]:

١- هداية غريزية، وهي هداية الله – عز وجل - الخلق لما يصلح لهم غريزة. وهذا كقوله – تعالى -: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٣١٣، وينظر البغوي ٣/٢٥١.

(٢) لسان العرب/ابن منظور ١٥/٣٥٥.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني ٥٣٦ وتفسير ابن كثير ١/٢٧.

(٤) سورة طه، الآية ٥٠.

٢-الهداية بمعنى الدلالة والإرشاد لما يصلح في أمر الدين كما في قوله – تعالى -:﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١] وكقوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٢] ودلالة الهداية والإرشاد يملكها الرسل ، والعلماء ، وغيرهم .

٣-هداية التوفيق كما في قوله – تعالى - :﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٣].

٤-الهداية إلى طريق الجنة[٤]، والهداية إلى طريق النار كما في قوله – تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[٥] فهذه الهداية في الآخرة؛ لأنهم قد قتلوا؛ لأن قوله: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ إلى طريق الجنة[٦].

وقوله – تعالى- :﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[٧] أي أرشدوهم

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٥٢.

(٢) سورة الرعد ، الآية ٧.

(٣) سورة القصص ، الآية ٥٦.

(٤) ينظر مدارج السالكين/ابن القيم ١/٥٢.

(٥) سورة محمد ، الآيتان ٤-٥.

(٦) تفسير ابن كثير ٤/١٧٤.

(٧) سورة الصافات ، الآية ٢٣.

إلى طريق جهنم[١].

وقد تعدى الهداية باللام كقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[٢] أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً، وقد تعدى الهداية بنفسها كما في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] وهذا النوع خاص بالله – تعالى –[٤].

﴿ٱلْقَوْمَ﴾ الجماعة من الرجال والنساء جميعاً . وقيل: هو للرجال خاصة دون النساء ، بدليل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[٥].

وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته. وروي عن أبي العباس: النفر والقوم والرهط هؤلاء معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم، كذا قال الجوهري[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٤٣.

(٣) سورة الفاتحة ، الآية ٦.

(٤) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/عبدالرحمن آل الشيخ ٢٢٦، والقول المفيد على كتاب التوحيد/ابن عثيمين/٣٤٨.

(٥) سورة الحجرات ، الآية ١١.

(٦) ينظر : لسان العرب ١٢/٥٠٥.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين قُضي عليهم بالكفر والشقاء، ونظره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

والكفر: نقيض الإيمان وهو إخفاء النعمة، وبالفتح: الستر مطلقاً وهو مشتق من كفر إذا ستر[2].

وفي هذا تعريض بأن المن والأذى من خصال الكفار ، والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير والرشد ، والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها، وفيها تعريض بأن كلاً من الرياء والمن والأذى على الإنفاق من خصائص الكفار، فلابد للمؤمنين أن يجتنبوها[3].

وقد نفى الله – عز وجل - الهداية في هذه الآية عن القوم الكافرين الذين حقت عليهم كلمة الله ، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[4].ولتأكيد النهي عن المن والأذى في النفقة فقد ذُكر في ثلاث آيات متتاليات .

١-أثنى على تاركه: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ

---

(١) سورة يونس ، الآية ٩٦

(٢) ينظر : لسان العرب/ابن منظور ١٤٤/٥.

(٣) الفتوحات الإلهية/الجمل ٢٢٠/١ ، وينظر: روح المعاني/الألوسي ٣٤/٣

(٤) سورة يونس ، الآيتان ٩٦-٩٧.

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾

٢-تفضيل المنع، والقول المعروف على الصدقة التي يتبعها أذى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ .

٣- التصريح بالنهي عن المن والأذى وأنه مبطل للصدقة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾

مما سبق من الآيات يتبين أن الصدقة لها شروط سابقة وهي: الإخلاص ،والمتابعة وشروط تالية وهي: ترك المن ، والأذى .

الآية ٢٦٥

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

لما ضرب الله – عز وجل- مثل من أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن ذكر ضده بتمثيل محسوس للذهن حتى يتصور السامع تفاوت ما بين الضدين" وعطف ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ على ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ لزيادة بيان ما بين المرتبتين من البَوْن وتأكيداً للثناء على المنفقين بإخلاص. فإنه قد مثله فيما سلف بحبة أنبتت سبع سنابل ، ومثله فيما سلف تمثيلاً غير كثير التركيب لتحصل السرعة بتخيّل مضاعفة الثواب ،

فلما مثّل حال المنفق رئاءً بالتمثيل الذي مضى، أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو أعجب في حسن التخيُّل؛ فإن الأمثال تبهج السامع كلما كانت أكثر تركيباً وضمنت الهيأة المشبه بها أحوالاً حسنة تكسبها حسنا ليسري ذلك التحسين إلى المشبه . وهذا من جملة مقاصد التشبيه[1].

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ﴾ يقال فيها كما قيل في الآية السابقة: ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة، أو كمثل غارس حبة.

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا﴾

﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب" وإعرابه النصب على المصدر في موضع الحال، وكان يتوجه فيه النصب على المفعول من أجله، لكن النصب على المصدر هو الصواب من جهة عطف المصدر الذي هو (تثبيتاً) عليه، ولا يصح في (تثبيتاً) أنه مفعول من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت ، وقال مكي في المشكل : كلاهما مفعول من أجله وهو مردود بما بيناه ، و(مرضاة) مصدر من رضي يرضى وفي هذا دليل على إثبات رضا الله – عز وجل - وأن الله يوصف بالرضى وهو من الصفات الفعلية.

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٥٠.

وقال الشعبي، والسدي، وقتادة، وابن زيد،وأبو صالح: وتثبيتاً معناه: وتيقيناً، أي نفوسهم لها بصائر متأكدة فيه تثبتهم على الإنفاق في طاعة الله تثبيتاً.

وقال مجاهد، والحسن: معنى قوله تثبيتاً أي أنهم يثبتون أين يضعون صدقاتهم؟ .

وقال الحسن: كأن الرجل إذا هم بصدقة تثبت، فإن كان ذلك لله أمضاه وإن خالطه شك أمسك.

والقول الأول أصوب؛ لأن هذا المعنى الذي ذهب إليه مجاهد والحسن إنما عبارته وتثبتاً.

وقال قتادة: وتثبيتاً معناه وإحساناً من أنفسهم. "[1]

فهؤلاء ينفقون أموالهم طلباً لرضوان الله ونيلاً لثوابه ومن أراد ذلك وابتغاه فلا بد أن ينفقها حسب ما جاءت به الشريعة الإسلامية .

قال تعالى:﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾[3]

---

(١) المحرر الوجيز/ابن عطية ٣١٦/٢-٣١٧ ، وينظر : تفسير ابن كثير ٣١٨/١ ، الدر المنثور/السيوطي ٣٣٩/١.

(٢) سورة الإسراء ، الآيتان : ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٢٩.

فنهى عن التبذير وعن التقتير وجعل لذلك ميزاناً عدلاً كما قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1] فهو ينفق لطلب رضاء ربه و (تثبيتاً) أي ثبوتاً وتحقيقاً. والتثبيت توطين النفس على المحافظة عليه وترك ما يفسد. والتثبيت: مصدر فعلٍ متعد ، فعلى الوجه الأول يكون (من أنفسهم) مفعول المصدر. وعلى الوجه الثاني يكون المفعول محذوفاً تقديره:و يثبتون أعمالهم بإخلاص النية .

ويجوز أن تكون تثبيتاً بمعنى تثّبت فيكون لازماً، والمصادر قد تختلف ويقع بعضها موقع بعض، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[2] أ.هـ.[3]

ولكن الآية مخالفة لذلك، وإنما جاز أن يقال: ﴿تَبْتِيلًا ﴾ لظهور ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ ﴾ فكان في ظهوره دلالة على متروك من الكلام الذي منه قيل: ﴿تَبْتِيلًا ﴾ وذلك المتروك هو: وتبتل فيبتلك الله إليه تبتيلا. وقد تفعل العرب مثل ذلك أحياناً، تخرج المصادر على غير ألفاظ

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٦٧.

(٢) سورة المزمل ، الآية ٨.

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٩.

الأفعال التي تقدمتها ، إذا كانت الأفعال المتقدمة لها تدل على ما أُخرجت منه[١].

إذاً هذا لا يسوغ إلا مع ذكر المصدر والإفصاح بالفعل المتقدم للمصدر ، وأما إذا لم يقع إفصاح بفعل فليس لك أن تأتي بمصدر في غير معناه ثم تقول احمله على فعل كذا وكذا لفعل لم يتقدم له ذكر[٢].

الحاصل: أن هؤلاء الذين ذكرت صفة إنفاقهم يمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق في وجوه البر ولا يتركون مجالاً لخواطر الشح وهذا من قولهم ثبت قدمه أي لم يتردد، ولم ينكص وتعليل الإنفاق بهاتين العلتين (مرضاة الله ، وتثبيتاً) وذلك لنقصد بأعمالنا أمرين:

١-ابتغاء رضوانه – تعالى - تعبداً له .

٢-تزكية أنفسنا وتطهيرها من الشوائب .

وإنفاق المال من أعظم ما ترسخ به الطاعة في النفس لأن المال ليس أمراً هيناً على النفس، وتكون (من) على هذا الوجه للتبعيض[٣]

---

(١) جامع البيان/الطبري ٤/٦٧١.

(٢) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣١٧.

(٣) التحرير والتنوير/ابن عاشور/ ٣/٥١.

فإن قلت: فما معنى التبعيض؟ قلت: معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبّت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معاً فهو الذي يثبتها كلها[1] ويجوز أن تكون (من) ابتدائية: أي تصديقاً صادراً من أنفسهم، تصديقاً لوعد الله وإخلاصاً يخالف حال المنافقين[2] فتكون (من) لابتداء الغاية كقوله تعالى : ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[3]، وجُوّز أن تكون (من) بمعنى اللام والمعنى: توطيناً لأنفسهم على طاعة الله – تعالى – و إلى ذلك ذهب الجبائي[4]فمن أنفق على وجه منشرحة له النفس ، لا على وجه التردد أو الضعف أو الرياء . إنما ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم فهذا أكمل في الإنفاق من آخر ينفق والتثبيت يأتيه من غيره لأن الأول يحمله إيمانه واحتسابه على الإنفاق . فمثل نفقة هذا ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾.

﴿ جَنَّةٍ ﴾ مادة الجيم والنون أصلها من الستر. جَنَّ الشي يَجُنُّه جَنّاً: سَتَره. وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك . وبه سمي الجن لاستتارهم، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه. والجَنان،

---

(١) الكشاف /الزمخشري ١/٣٤٠.

(٢) التحرير والتنوير/ابن عاشور/ ٣/٥١.

(٣) سورة البقرة، الآية:١٠٩ .

(٤) روح المعاني/الألوسي ٣/٣٦ .

بالفتح: القلب لاستتاره في الصدر. واستجن: استتر والجنة البستان، والعرب تسمي النخيل جنة. والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان. وقال أبو علي في(التذكرة) : لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب ، فإن لم يكن فيها ذلك، وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة[١] وقال المبرد والفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة ، وإن كان فيه كرم فهو فردوس[٢] .

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ ربا الشيء يربو: زاد ونما ، والربوة كل ما ارتفع من الأرض وربا[٣]، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[٤]أي ارتفعت .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما- : الربوة المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأنهار[٥]وإنما سميت الربوة ربوة لأنها ربت فغلظت وعَلَتْ ، من قول القائل : ربا هذا الشيء يربو إذا انتفخ فعظم[٦] .

---

(١) ينظر: لسان العرب/ابن منظور ١٣/٩٢-١٠٠.

(٢) تفسير البغوي ٣/٢٥٢.

(٣) تفسير البغوي ١٤/٣٠٤-٣٠٦.

(٤) سورة الحج ، الآية ٥.

(٥) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣١٧، الدر المنثور/السيوطي ١/٣٣٩.

(٦) جامع البيان/ابن جرير ٤/٦٧٣.

قال ابن جرير – رحمه الله - :

وفي الربوة لغات ثلاث ، وقد قرأ بكل لغةٍ منهن جماعة من القرأة وهن:

"رُبْوة "بضم الراء، وبها قرأت عامة قرأة المدينة والحجاز والعراق.

و "رَبْوة " بفتح الراء ، وبها قرأ بعض أهل الشام وبعض الكوفة ، ويقال: إنها لغة لتميم.

و "رِبْوة " بكسر الراء وبها قرأ ابن عباس. وغير جائز عندي أن يُقرأ ذلك إلا بإحدى اللغتين : إما بفتح الراء ، وإما بضمها. أ.هـ [1].

قلت: والصواب ما ذهب إليه ابن جرير- رحمه الله - من اقتصار القراءة على فتح الراء أو ضمها، لأن القراءات السبع المتواترة عن النبي – صلى الله عليه وسلم- لم ترد إلا بذلك - والله تعالى أعلم -.

وخص الربوة : لأن أشجار الربى تكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً للطافة هوائها وعدم كثافته بركوده[2]، فكان لهذا القيد فائدتان: إحداهما قوة وجه الشبه كما أفاده قول: (ضعفين)، والثانية تحسين

---

(١) جامع البيان /الطبري ٦٧٣/٤ ، وينظر: القراءات العشر المتواترة/محمد راجح ٤٥ ، الحجة في القراءات العشر /ابن خالويه ١٠٢، النشر في القراءات العشر/ابن الجزري ٢٣٢/٢، الغاية في القراءات العشر/النيسابوري ١١٨.

(٢) روح المعاني /الآلوسي ٣٦/٣.

المشبّه به الراجع إلى تحسين المشبّه في تخيّل السامع .

وقد حصل من تمثيل حال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بحبة ثم بجنة جناس مصحَّف[١].

﴿ بِرَبْوَةٍ ﴾ صفة للجنة . والباء ظرفية بمعنى "في" أي جنة كائنة في ربوة[٢].

﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ أصاب الجنة التي بالربوة من الأرض وابل من المطر ، وهو الشديد العظيم القطر منه .

و الجملة: صفة للجنة، ويجوز أن تكون في موضع نصب على الحال من الجنة؛ لأنها قد وصفت .. ويجوز أن تكون الجملة صفة لربوة؛ لأن الجنة بعض الربوة[٣].

- وقد بدئ بالوصف بالمجرور ، ثم بالوصف بالجملة .
- وبدئ بالوصف الثابت وهو كونها " بربوة ". ثم وصف بالوصف العارض وهو "أصابها وابل "

﴿ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾

آتت: أعطت صاحبها أو الناس ما نبت فيها من ثمار بقدرة الله .

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٥٢.

(٢) الدر المصون ١/٦٤٠.

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٧٩.

وآتت: متعدٍ إلى مفعولين، وقد حذف أحدهما، أي أعطت صاحبها. ويجوز أن يكون متعدياً إلى واحد؛ لأن معنى آتت أخرجت ، وهو من الإيتاء وهو الريع[1].

﴿أُكُلَهَا﴾ الأُكْلُ : هو الشيء المأكول، وهو مثل الرُعْب والهُزْء وما أشبه ذلك من الأسماء التي تأتي على " فُعْل" وأما الأكل بفتح الألف وتسكين الكاف ، فهو فعل الآكل[2] .

ولم يشر ابن جرير – رحمه الله - إلى ضم الكاف في " الأكل" وهي قراءة متواترة[3] .

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ حال من أكلها[4] أي مضاعفاً

قال عطاء – رحمه الله - :حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين[5] .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري١/١٧٩.

(٢) جامع البيان/ابن جرير٤/٦٧٦.

(٣) أسكن الكاف فيها نافع وابن كثير ووافقهما أبو عمرو (بالتخفيف) . وضمها الباقون (بالتثقيل) ينظر: النشر ٢/٢١٦ ، السبعة في القراءات /لابن مجاهد ١٩٠، الغاية/ النيسابوري ١١٩.

(٤) الفتوحات الإلهية/الجمل ١/٢٢١ ، فتح القدير/الشوكاني ١/٢٨٦.

(٥) تفسير البغوي ٣/٢٥٢.

وضعف الشيء: مثلاه، وقال الزجاج: ضعف الشيء مثله الذي يُضَعّفُه، وأضعف الشيء وضعفه وضاعفه: زاد على أصل الشيء وجعله مثليه أو أكثر[١].

فإذا كان ضعف الشيء . هو الذي بمقداره مرتين أو أكثر فضعفين يكون بمقداره أربع مرات أو أكثر .

فهذه الجنة التي بربوة مرتفعة ، بائنة للهواء ، ظاهرة للشمس أصابها وابل فالنتيجة أنها ستثمر وتضاعف ثمرها بسبب هذه الصفات المميزة لها .

والآية من الاحتباك ، ذكر المنفق أولاً دال على حذف صاحب الجنة ثانياً ، وذكر الجنة ثانياً دال على حذف النفقة أولاً [٢].

ولما كان الوابل قد لا يوجد قال :

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾

﴿فَطَلٌّ﴾ الفاء واقعة في جواب الشرط.

(طل) لا بد من حذف بعدها لتكمل جملة الجواب واختلف في ذلك على ثلاثة أوجه :

---

(١) لسان العرب/ابن منظور ٩/٢٠٤.

(٢) نظم الدرر/البقاعي ١/٥١٩.

الأول : ذهب المبرد إلى أن المحذوف خبر،وقوله: (فطل) مبتدأ، والتقدير: (فطل يصيبها) أو (فطل يكفيها) .

وجاز الابتداء بالنكرة، لأنها في جواب الشرط ، وهو من جملة المسوغات للابتداء بالنكرة.

الثاني : أنه خبر مبتدأ مضمر ، أي : فالذي يصيبها طل .

الثالث : أنه فاعل بفعل مضمر تقديره : فيصيبها طل[1] .

والطل : المستدق من القطر الخفيف، قاله ابن عباس وغيره، وقال قوم: الطل الندى، وهذا تجوَز وتشبيه[2].

وهذا مثل ضربه الله –تعالى- لعمل المؤمن المخلص ، فيقول : كما أن هذه الجنة تريع في كل حال ولا تُخلف سواءً قلّ المطر أو كثر ، كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواءً قلت صدقته أو كثرت ، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد[3].

فوجه المشابهه ظاهر: فهؤلاء لما أنفقوا طلباً لرضوان الله وتثبيتاً من أنفسهم كان إنفاقهم كمثل هذه الجنة التي مكانها طيب لارتفاعه

---

(١) الدر المصون ١/٦٤١، وينظر: التبيان/العكبري ١/١٨٠.

(٢) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣١٩.

(٣) تفسير البغوي ٣/٢٥٢.

وطيب هوائه ، فهؤلاء لعلو همتهم لم يريدوا بنفقتهم إلا مرضاة الله – عز وجل -﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قراءة الجمهور: " تعملون "خطاب وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب الباعث على فعل الإنفاق الخالص لوجه الله والزاجر عن الرياء والسمعة[١].

وقد تقدم الجار والمجرور (بما تعملون) على (بصير) مع أن الجار والمجرور متعلق به وذلك؛ لإفادة الحصر .

(بصير) هل المراد بهذه الكلمة بصير من البصر ، أم من العلم ؟

الأرجح – والله تعالى أعلم - أن يكون من العلم ليشمل الأقوال وأعمال القلب ، لأن الأقوال تسمع، أما أعمال القلب فقد قال الله عنها : ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾[٢]، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[٣].فأعمال القلوب تُعلم ولا ترى .

الحاصل أن أي عمل يعمله الإنسان سواءً كان عملاً ظاهراً أو قلبياً فالله به بصير لا يخفى عليه شيء – سبحانه وتعالى - وفي هذا ترغيب لهم في الإخلاص، مع ترهيب من الرياء. فهو وعد ووعيد.

---

(١) الدر المصون ١/٦٤٢.

(٢) سورة ق ، الآية ١٦.

(٣) سورة الحجر ، الآية ٩٧.

الآية ٢٦٦

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾، إن من بلاغة القرآن أن يبين المعقول بالمحسوس ، لأجل تقريب ذلك إلى الأذهان.

ولما قدم – سبحانه وتعالى - أن المن مبطل للصدقة ومثله بالرياء وضرب لهما مثلاً ورغب في الخالص وختم ذلك بما يصلح للترهيب من المن والرياء رجع إليها دلالة على الاهتمام بهما فضرب لهما مثلاً أوضح من السالف وأشد في التنفير عنهما والبعد منهما[1].

﴿ أَيَوَدُّ ﴾ الاستفهام في الآية إنكاري بمعنى النفي : أي ما يود وقد بدأ بالاستفهام لإنكار وقوع أن يود الإنسان ذلك. كما في قوله – تعالى -: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[2].

(الود) حب الشيء مع تمنيه ، وهو خالص المحبة .

---

(١) نظم الدرر/البقاعي ١/٥١٩.

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٢.

﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ يعني: بستاناً .

أخرج البخاري عن عبيد بن عمير قال : قال عمر- رضي الله عنه- يوماً لأصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- : فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أولا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: ياابن أخي قل، ولا تحقر نفسك: قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل ؟ قال ابن عباس: لرجل غني يعمل بطاعة الله – عز وجل- ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله[1].

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (من) بمعنى بعض

وقال في المنار : يفهم من قولك عندي من كل شيء أو لي في بستاني من كل ثمر أنك تريد أن لك حظاً من كل شيء ولا يحتاج إلى تقدير محذوف[2].

﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾ صفة لجنة.

وخص (النخيل والأعناب) بالذكر لشرفهما وفضلهما، وكثرة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٢/٨ كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة (أيود أحدكم).

(٢) المنار ص ٧٠.

منافعهما ، وحسن منظرهما ، وإن كانت الجنة محتوية على سائر الأشجار تغليباً لهما على غيرهما . وقد ذكر النخل بشجره ، وذكر العنب بثمره ، وذلك أن كل شيء في النخيل نافع للناس ، ورقه وليفه وثمره .

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ صفة أخرى للجنة .

﴿مِن تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت النخيل والأعناب ، لا من تحت الجنة، لأن النخيل والأعناب على أرض الجنة .قال ابن عطية :" تحت بالنسبة إلى الشجر. "[1]

وقال الشوكاني:

"الجنة تطلق على الشجر الملتف وعلى الأرض التي فيها شجر. والأول أولى هنا لقوله: (تجري من تحتها الأنهار) بإرجاع الضمير إلى الشجر من دون حاجة إلى مضاف محذوف، وأما على الوجه الثاني فلابد من تقدير أي من تحت أشجارها"[2] .أ.هـ .

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: ماء الأنهار. والنهر مأخوذ من أنهرت ، أي وسعت[3]. والأنهار : جمع نهر وهو المجرى الواسع فوق الجدول

---

(١) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣٢٠.

(٢) فتح القدير/الشوكاني ١/٢٨٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ١/٢٣٩.

ودون البحر، وكلمة الأنهار في الآية تدل على عذوبة ماء تلك الجنة. وعلى ديمومة الخصب ، وعدم الذبول .

﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ليس شيء من الثمار إلا وهو فيها نابت[١]. فهذه الجنة كاملة إذ إنها تحتوي على النخيل ، والأعناب، والمياه الجارية العذبة ، والثمرات ، وفوق ذلك هي كثيرة الأشجار والأغصان .

" ومن الناس من جوز كون المراد من الثمرات المنافع، وهذا يجعل ذكر (النخيل والأعناب) لعدم احتواء الجنة على ما سواهما، ومنهم من قال: إن هذا من ذكر العام بعد الخاص للتتميم."[٢]

﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ جملة من مبتدأ وخبر. فالخبر قوله: ﴿لَهُۥ﴾ و ﴿كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ هو المبتدأ، وذلك لا يستقيم على الظاهر، إذ المبتدأ لا يكون جاراً ومجروراً فلابد من تأويله. واختلف في ذلك.

فقيل : المبتدأ في الحقيقة محذوف ، وهذا الجار والمجرور صفة قائمة مقامه ، تقديره : له فيها رزق من كل الثمرات أو فاكهة من كل

(١) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٣١٩.

(٢) روح المعاني/الألوسي ٣/٣٧.

الثمرات فحذف الموصوف وبقيت صفته. وقيل: (من) زائدة تقديره، له فيها كل الثمرات، وذلك عند سيبويه والأخفش؛ لأن المعنى: يصير له فيها كل الثمرات، وليس الأمر على هذا إلا أن يراد به هنا الكثرة لا الاستيعاب[1] .

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ هذا أبلغ من قوله كَبُر[2]. والكبر الشيخوخة وعلو السن. الواو، واو الحال، والجملة حال من أحد. وتقديره وقد أصابه[3]. أي وقد أصاب صاحب الجنة الكبر. فصار لايقدر على اكتساب . " وكبر السن هو مظنة شدة الحاجة لما يلحق صاحبه من العجز عن تعاطي الأسباب. "[4]

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ جملة في موضع الحال من الهاء في أصابه.

واختلف في أصل الذرية على أربعة أوجه :

أحدها : أن أصلها ذُرُّوة ، من ذر يَذُرّ إذا نشر، فأبدلت الراء الثانية ياء لاجتماع الراءات، ثم أبدلت الواو ياء ، ثم أدغمت ، ثم كُسِرت الراء إتباعاً ، ومنهم من يكسر الذال اتباعاً أيضاً ،وقد قرئ به .

---

(١) ينظر التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٠ ، الدر المصون ١/٦٤٣.

(٢) روح المعاني/الآلوسي ٣/٣٧.

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٠.

(٤) فتح القدير/الشوكاني ١/٢٨٨.

والثاني: أنه من ذَرَّ أيضاً إلا أنه زاد الياءين ، فوزنه فُعْلِيَّة .

والثالث: أنه من ذَرَأَ بالهمز، فأصله على هذا ذُرُّوءة فُعُّولة ثم أبدلت الهمزة ياء ، وأبدلت الواو ياء فراراً من ثقل الهمزة والواو والضمة .

والرابع : أنه من ذَرَا ، يَذْرُو ، لقوله تعالى ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[1]. فأصله ذُرُّووة، ثم أبدلت الواو ياء. ثم عمل ما تقدم. ويجوز أن يكون فِعْلِيَّة على الوجهين[2].

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ والحال أن له ذرية ضعفاء. فيكون قدجمع بين كبر السن وضعف الذرية فيصير تحسره على الجنة في غاية الشدة. فاجتمع له ضعف الذرية وقلة الحيلة بكبر سنه .

﴿ضُعَفَآءُ﴾ ترك كلمة صغار مع مقابلة الكبر لأنه أنسب. فقد يكون الصغير في بعض الأحوال لديه قوة وحسن تصرف ، لكن لقطع سبيل المساعدة والكسب وترتيب الأمور صارت هذه الكلمة أنسب – والعلم عند الله –.

" والضعف: خلاف القوة، وقيل الضُّعف بالضم: في الجسد ، والضَّعَف بالفتح: في الرأي والعقل. وقيل: هما معاً جائزان في كل

(١) سورة الكهف ، الآية ٤٥.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨١.

وجه .

والجمع : ضُعَفاء ، وضَعْف ، وضِعاف ، وضَعَفة ، وضَعافَى. "[1]

﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾

﴿ فَأَصَابَهَآ ﴾ معطوف على صفة الجنة : ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ وأتى في هذه الآيات كلها نحو (فأصابها وابل ، وأصابه الكبر ، فأصابها إعصار) لأنه أبلغ وأدَلُّ على التأثير بوقوع الفعل على ذلك الشيء ، من أنه لم يُذْكر بلفظ الإصابة ، حتى لو قيل وَبَل ، وكَبر ، وأعصرت . لم يكن فيه ما في لفظ الإصابة من المبالغة[2] .

والضمير في (أصابها) عائد على الجنة .

﴿ إِعْصَارٌ ﴾ فاعل. والإعصار: الريح تثُير السحاب ، وقيل: هي التي فيها نار ، وقيل هي التي فيها غبار شديد، وقال الزجاج: الإعصار الرياح التي تهب من الأرض وتثير الغبار فترتفع كالعمود إلى نحو السماء ، وهي التي يسميها الناس الزوبعة ، وهي ريح شديدة لا يقال لها إعصار حتى تهب كذلك بشدة . والجمع

---

(١) لسان العرب (ابن منظور ٩/٢٠٣.

(٢) الدر المصون ١/٦٤٤.

أعاصير[١].

إذاً هذه الريح تستدير على نفسها وتنطوي وهي كالعمود إذا مرت بشيء أخذته وربما بلغت قوتها أن تقتلع الأشجار. وهذا الإعصار فيه نار وحرارة شديدة بحيث إذا مرت على الجنة تحرق الأشجار ، وتتساقط الأوراق ، والثمار ، وتجف الأنهار بسبب شدة الحرارة.

" وسمي ذلك الهواء إعصاراً لأنه يلتف كما يلتف الثوب المعصور. وقيل: لأنه يعصر السحاب أو يعصر الأجسام المار بها[٢]."

روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- في قوله :(إعصار فيه نار) قال : ريح فيها سموم شديدة[٣]. وقال السدي : الإعصار الريح والنار السموم[٤] .

﴿فِيهِ نَارٌ﴾ تذكير الضمير لاعتبار التذكير في ﴿إِعْصَارٌ﴾. " والتنوين في النار للتعظيم. وذكر الله – سبحانه - الإعصار ووصفه بما ذكر، ولم يقتصر على ذكر النار كأن يقال- فأصابها نار - ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ لما في تلك الجملة من البلاغة ما فيها لمن دقق النظر ،

(١) لسان العرب/ابن منظور ٤/٥٧٨.

(٢) روح المعاني/الآلوسي ٣/٣٨.

(٣) الدرر المنثور/السيوطي ١/٣٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٣١٩.

والفعل المقرون بالفاء عطف على (أصابها)، وقيل: على محذوف معطوف عليه أي فأحرقها فأحترقت[1]، والمراد بالنار إما السموم الشديد أو البرد الشديد[2].

وهذا دليل على أن النار تطلق على كل ما يحرق الشيء ولو بتجفيف رطوبته ، ومنه :

(الصر) البرد الشديد كالحر الشديد كلاهما يحرق الشجر والنبات – والله تعالى أعلم- وهذا المثل ضربه الله – عز وجل- لمن ينفق ويضم إلى إنفاقه ما يحبطه . فهو في حسرة وأسف وندامة إذا كان يوم القيامة واشتدت الحاجة إلى ذلك ووجده هباء منثورا. كصاحب الجنة التي أصابها الإعصار فاحترقت عند كبر سنه وعجزه وضعف ذريته وقلة حيلته ، فليس لديه قوة فيغرس مثل بستانه .كذلك المنفق المبطل نفقته لا يجده قدم لنفسه خيراً يعود عليه ، كما لم يغن عن هذا ولده، وحُرم أجره عند أشد الحاجة إليه ، كما حرم هذا جنته عند شدة حاجته إليها، خيبة الأمل حين رجاء المنفعة .

روى ابن جرير – رحمه الله - عن السدي قوله : هذا مثل آخر لنفقة

---

(١) روح المعاني/الآلوسي ٣/٣٨.

(٢) ينظر: جامع البيان /الطبري ٤/٦٩٠-٦٩٣

الرياء ، أنه ينفق ماله يرائي الناس ، فيذهب ماله منه وهو يرائي ، فلا يأجره الله فيه ، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته ، وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت ، وكثر عياله، واحتاج إلى جنته ، جاءت ريح فيها سموم ، فأحرقت جنته، فلم يجد فيها شيئاً ، فكذلك المنفق رياء[١] .أ.هـ.

كذلك أورد ابن جرير –رحمه الله– أقوالاً في هذه الآية :

فعن عمر، و ابن عباس –رضي الله عنهم– : هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عَمِل عَمَلَ سوء. وعن مجاهد، وقتادة، والربيع عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: أن هذا المثل للمفرط في طاعة الله حتى يموت. وعن ابن زيد: أنه مثل للمان في الطاعة. وعن ابن جريج: مثل لمن أُعطي الشباب والمال فلم يعمل حتى سلبا[٢].

قلت : والآية عامة لمن ينفق نفقة ويضم إلى إنفاقه ما يحبطه كالمن والأذى والنفاق. والله تعالى أعلم .

---

(١) جامع البيان/الطبري ٤/٦٨١-٦٨٢ ، وينظر : تفسيرابن كثير ١/٣١٩ ، تفسير البغوي ٣/٢٥٣ ، الدر المنثور/السيوطي ١/٣٤٠.

(٢) ينظر جامع البيان/الطبري ٤/٦٨١-٦٨٦.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي مثل ذلك البيان. والكاف: بمعنى مثل . وهي منصوبة على أنها مفعول مطلق، وعاملها يبين. أي يبين الله لكم مثل ذلك البيان .

﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ تشمل الآيات الكونية والشرعية.

"فالآيات الكونية: هي كل المخلوقات من السماء والأرض والنجوم والجبال والشجر والدواب وغير ذلك.

والآيات الشرعية: هي ما جاءت به الرسل من الوحي كالقرآن."[1]

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لعل : كما وردت في كتب اللغة تفيد الترجي، ولكنها هنا ليست للترجي، والترجي في جانب الله ممنوع. لأنه طلب ما فيه عسر، والله - عز وجل - لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء – سبحانه - لكنها هنا للتعليل . أي يبين الله لكم هذا البيان من أجل التفكر .

﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ التفكر : إعمال الفكر والخاطر في مخلوقات الله والتأمل فيها[2] ، فهو غاية مقصودة لأجل تفكركم في العواقب حتى لا تكونوا على غفلة . بل تعتبروا بما تضمنته الآيات من العبر،

---

(١) القول المفيد/ الشيخ ابن عثيمين ٣٢٠/٢

(٢) ينظر :لسان العرب ٦٥/٥.

وتعملوا بموجبها وتعملوا أفكاركم فيما يفنى ويزول من الدنيا ، وفيما هو باقٍ لكم ينفعكم في الآخرة .

آية: ٢٦٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

لما رغَّب – سبحانه وتعالى - في الفعل وتخليصه عن الشوائب، أتبعه المال المنفق منه فأمر بطيبه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أقِروا بالإيمان ﴿أَنفِقُواْ ﴾ تصديقاً لإيمانكم)[1].

﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ في مفعول أنفقوا قولان :

أحدهما : أنه المجرور بـ (من)، و (من) للتبعيض أي : أنفقوا بعض ما رزقناكم.

والثاني : أنه محذوف قامت صفته مقامه ، أي : شيئاً مما رزقناكم.

(ما) يجوز أن تكون موصولة اسمية . والعائد محذوف لاستكمال الشروط ، أي : كسبتموه .وأن تكون مصدرية أي : من طيبات كسبكم ، وحينئذ لا بد من تأويل هذا المصدر باسم المفعول أي:

---

(١) نظم الدرر/البقاعي ١/٥٢١.

مكسوبكم ، ولهذا كان الوجه الأول أولى[1] .

﴿أَنفِقُواْ﴾ زكوا وتصدقوا [2].

قال ابن عطية رحمه الله:

اختلف المتأولون هل المراد بهذا الإنفاق الزكاة المفروضة أو التطوع؟. فقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - وعبيدة السلماني، ومحمد بن سيرين: هي في الزكاة المفروضة. أما قول البراء بن عازب – رضي الله عنه - وعطاء بن أبي رباح: أن الآية في التطوع[3] .

قلت: والراجح أن الآية تعم الوجهين إذ لا دليل على التخصيص . ولكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب، وصاحب التطوع يتلقاها على الندب – والله تعالى أعلم-

﴿طَيِّبَٰتِ﴾ الطيب من الكسب : هو الكسب الحلال الجيد، وعكسه الخبيث. قال البغوي – رحمه الله- في قوله ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: أي من خيار، قال ابن مسعود – رضي الله عنه-ومجاهد: من

---

(١) الدر المصون ١/٦٤٥.

(٢) جامع البيان/الطبري ٤/٦٩٤.

(٣) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣٢٢.

حلالات[١]. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس – رضي الله عنهما- يقول: من أطيب أموالكم وأنفسها[٢].

﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ في ذلك دلالة على إباحة الكسب، وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث.

قال ابن كثير –رحمه الله-: قال مجاهد: يعني التجارة، وقال علي والسدي: يعني الذهب والفضة . أ.هـ.[٣]

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي:من طيبات ما أخرجنا لكم من الأرض، وحذف لدلالة ما قبله عليه. فالذي أخرجه الله لنا من الأرض كله طيب ، وهو الذي خلقه لنا كما في قوله –تعالى- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٤].

والذي يخرج من الأرض: النبات بجميع أنواعه، والمعادن والركاز.

قال ابن جرير – رحمه الله – في قوله: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ : تصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير ، وما

---

(١) تفسير البغوي ٣/٢٥٣.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٢٦ (٢٧٨٩) من طريق عبدالله بن صالح.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٢٠.

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٩.

أُوجبت فيه الصدقة من نبات الأرض أ.هـ.[1]

حكم زكاة الخارج من الأرض:

"كل ما أخرج الله- عز وجل- من الأرض مما يَيْبَسُ ويَبْقَى،مما يُكَالُ ويَبْلُغُ خمسة أَوْسُقٍ فصاعداً ،ففيه العُشْرُ،إن كان سَقْيُهُ من السماء والسُّيُوحِ[2]،وإن كان يسقى بالدَّوَالِي والنَّوَاضِحِ وما فيه الكُلَفُ، فَنِصْفُ العُشْرِ"[3]دليل ذلك قول النبي ـصلى الله عليه وسلمـ:«**ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة**»[4] متفق عليه. وعن ابن عمر- رضي الله عنهما-عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قال: « **فيما سقت السماء والعيون و كان عَثَرِياً[5]العُشْرُ، وفيما سُقِيَ بالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ.** »[6] .

وقد أعاد (من) في المعطوف (مما) لأن كلا من المتعاطفين نوع

---

(١) جامع البيان/الطبري ٤/٦٩٧.

(٢) يقال للماء الجاري سيح.

(٣) المغني / لابن قدامه ٤/ ١٥٥.

(٤) صحيح البخاري٢/١٣٣، باب فيما دون خمسة أوسق صدقة من كتاب الزكاة، صحيح مسلم٢/٦٧٤-٦٧٥كتاب الزكاة.

(٥) العثري ما سقته السماء. وقال الجوهري: العثري الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

(٦) صحيح البخاري ١٥٥/٢ كتاب الزكاة باب فيما يسقى من ماء السماء، صحيح مسلم ٦٧٥/٢ كتاب الزكاة باب ما فيه العشر أو نصف العشر.

مستقل، أو للتأكيد ــ ولعله أولى ــ.[١] ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بـ ﴿أَخْرَجْنَا﴾، و (من) لابتداء الغاية[٢].

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾

﴿تَيَمَّمُواْ﴾ أمم : أَمَّهُ ، يَؤُمُّه أَمّاً : إذا قصده ، ويَمَّمْتُه: قصدته .

قال ابن السكيت: قوله: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[٣]. أي: اقصدوا لصعيدٍ طيب. وأممته: قصدت أمامه، ويممته: قصدته من أي جهة كانت[٤].

قال ابن جرير – رحمه الله - في قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾ أي: ولا تعمَّدوا ولا تقصِدوا

وفيها قراءتان متواترتان[٥]: الجمهور على تخفيف التاء وماضيه تيمم، والأصل: تتيمموا فحذف التاء الثانية. وقرئ بتشديد التاء وهي قراءة ابن كثير .

---

(١) روح المعاني/الألوسي ٣/٣٩.

(٢) الدر المصون ١/٦٤٥.

(٣) سورة النساء ، الآية ٤٣.

(٤) ينظر :لسان العرب ١٢/٢٢-٢٤.

(٥) النشر/ابن الجزري ٢/٢٣٢ ، التيسير ٨٣-٨٤ ، التبصرة ٤٤٦، والمبسوط /مخطوط ق/٥٦.

﴿ ٱلْخَبِيثَ ﴾ الردئ غير الجيد "وهو صفة غالبة، فلذلك لا يذكر معها الموصوف ."[1] أي لا تعمدوا إلى الرديء ، فتتصدقوا منه، ولكن تصدقوا من الطيب .

﴿ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ (منه) متعلق بـ (تنفقون) والجملة في موضع الحال من الفاعل في تيمموا، وهي حال مقدرة؛ لأن الإنفاق منه يقع بعد القصد إليه.

ويجوز أن يكون حالاً من الخبيث؛ لأن في الكلام ضميراً يعود إليه، أي مُنفقاً منه[2].

وقدم (الحال) على عاملها؛ لإفادة الحصر. ولا تعارض بين الرأيين من حيث المعنى فهما لا يختلفان فمعناها : النهي عن قصد الخبث، وهو الرديء لننفق منه.

وسبب نزول تلك الآية :

عَنِ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ - رضي الله عنه - في قول الله - تبارك وتعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ .. الآية ﴾ قال: نزلت في الأنصار، كانت الأنصار إذا كان أيام جداد النخل[3]،

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٢.

(٣) جداد: أوان الصرام، أي صرام النخل، وهو قطع ثمرها. (لسان العرب ٣/١١٢).

أخرجت من حيطانها[١] أقناء[٢] البسر ، فعلقوه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، فيأكل فقراء المهاجرين منه ، فيعمد الرجل منهم إلى الحشف[٣] فيدخله مع أقناء البسر ، يظن أن ذلك جائز، فأنزل الله – عز وجل - في من فعل ذلك : ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾. قال: ولا تيمموا الحشف منه تنفقون[٤] .

---

(١) حيطانها: جمع حائط: وهو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار (لسان العرب ٧/٢٨٠).

(٢) أقناء: جمع قنو: وهو العذق بما فيه من الرطب والشماريخ المثمرة (النهاية/ابن الأثير ٤/١١٦).

(٣) الحشف : اليابس الفاسد من التمر ، وقيل الضعيف الذي لا نوى له كالشيص . وهو الذي يجف قبل النضج فيكون رديئاً ليس له لحم (النهاية/ابن الأثير ١/٣٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه رقم (١٨٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره مختصراً ٢/٥٢٧ (٢٧٩٨) من طريق عمرو بن محمد العَنْقَرِيّ، وأخرجه الترمذي رقم (٢٩٩٠) وقال : حسن صحيح غريب . كتاب تفسير القرآن ، باب سورة البقرة ، وصحيح سنن الترمذي رقم (٢٣٨٩)، ابن ماجه – كتاب الزكاة ، باب النهي أن يخرج في الصدقة شر ماله والحديث صحيح: ينظر صحيح سنن ابن ماجه رقم (١٤٧٥)، والحاكم ٢/٢٨٥، وقال هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ مستأنف لا موضع له[1] .

﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ في موضع الحال ، أي إلا في حال الإغماض .

الإغماض : المسامحة و المُساهلة[2]، وهو:

- من إطباق الجفن، وأصله من الغمض وهو نومة تغشى الحس ثم تنقشع.
- ومن أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز .
- وقد يكون من تغميض العين لأن الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عينيه.
- و من أغْمض الرجل إذا أتى غامضاً من الأمر .

أي: كيف تيمموا الخبيث تنفقونه ولستم بآخذيه لو أُعطيتموه إلا أن تأخذوه عن إغماض وتساهل وحياء. وفي هذا توبيخ وتقريع.

قال القرطبي – رحمه الله – في معنى الآية:

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٢.

(٢) لسان العرب ٧/١٩٩، الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ٣/٣٢٧. نظم الدرر/البقاعي١/٥٢١.

أي: لستم بآخذيه في ديونكم وحقوقكم من الناس إلا أن تتساهلوا في ذلك وتتركوا من حقوقكم، وتكرهونه ولا ترضونه. أي فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم، قال معناه البراء بن عازب، وابن عباس ، والضحاك. وقال الحسن: معنى الآية: ولستم بآخذيه ولو وجدتموه في السوق يباع إلا أن يهضم لكم من ثمنه . وروي نحوه عن علي – رضي الله عنه – أ.هـ.[١]

﴿تُغْمِضُواْ﴾ يستعمل متعدياً – وهو الأكثر- ولازماً مثل أغضى عن كذا ، والآية محتملة الأمرين، وعلى الأول يكون المفعول محذوفاً: أي أبصاركم أو بصائركم[٢].

إذاً ينبغي أن يُعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً كما ورد ذلك في الحديث :

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .. الحديث**»[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٢٦.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٢.

(٣) صحيح مسلم ٣/٨٥ في الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ، الترمذي (٢٩٩٢) في التفسير ، باب (من سورة البقرة.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يصعد إلى الله – إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**»[1].

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍ بالمدينة نخلاً ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . فلما أنزلت ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة فقال : يا رسول الله ، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: «**بخ ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» . قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٤١٥، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ .

أبو طلحة في أقاربه وبني عمه "[١].

ولقائل أن يقول: إذا كان المراد بالطيب هو الحلال ، والخبيث عكسه هو الحرام. كيف يكون الحرام في مال المسلم ؟.

يجاب عن ذلك بأن الطيب يراد به الحلال والجيد ، أما الخبيث فيراد به الرديء وهذا أرجح الأقوال. لأنه لو أريد بالخبيث الحرام ، لنهي عن الإنفاق منه البته لا عن قصد التخصيص فقط. فالأصل في مال المؤمنين أن يكون حلالاً. إنما خوطبوا بالإنفاق مما في أيديهم . فلو أريد بالطيب والخبيث ما ذكر لكان الخطاب مبنياً على أن أموال المؤمنين فيها حلال وحرام ، وكان منطوق الآية أنفقوا من الحلال ، ولا تتحروا جعل صدقاتكم من الحرام .

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ؛لأنه – سبحانه - غني عن هذه النفقات ، وخاصة الرديء منها والتي لا يأخذها المحتاج إلا على كراهة وتساهل وتغاضٍ . والله – عز وجل - لم يأمركم بالإنفاق

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٢٢٣/٨ ، كتاب التفسير ، باب (لن تنالو البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، صحيح مسلم ٧٩/٣ كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة في الأقربين و الزوج ، الموطأ ٩٩٥/٢-٩٩٦ في الصدقة ، باب الترغيب في الصدقة ، أبو داود ١٣١/٢ في الزكاة ، باب صلة الرحم ، والترمذي رقم (٣٠٠٠) في التفسير، باب سورة آل عمران ، النسائي ٢٣١/٦ في الإحباس ، باب كيف يكتب الحبس.

لحاجته هو ، بل إنه غني حميد ، ونفع صدقاتكم عائد إليكم "وافتتح هذه الجملة بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ للاهتمام بالخبر، أو قد يكون نُزَّل المخاطبون الذين نهوا عن الإنفاق من الخبيث منزلة من لا يعلم أن الله غني فأعطوا لوجهه .. ولم يعلموا أنه يحمد من يعطي لوجهه من طيب الكسب"[1].

والواو استئنافية ، و﴿أَنَّ﴾وما بعدها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿غَنِيٌّ﴾له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله، وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، وغناه من لوازم ذاته.

﴿حَمِيدٌ﴾ الحمد: نقيض الذم .وحَمِدَه حَمْداً ومَحْمداً ومَحْمدَة فهو محمود وحميد فعيل بمعنى فاعل لتقارب المعنيين ،وبمعنى مفعول. قال الأزهري : التحميد كثرة حمد الله

- سبحانه - بالمحامد الحسنة ، والتحميد أبلغ من الحمد . فالله - عز وجل - حامد لأنه يحمد من يستحق الحمد من عباده ومحمود على كل حال[2].

---

(١) التحرير والتنوير/ ابن عاشور ٥٨/٣.

(٢) ينظر: شرح أسماء الله الحسنى/ابن منظور/١٠٦ـ شرح أسماء الله الحسنى ، القحطاني ٩١-٩٢ .

ما وجه ذكر (حميد) بعد (غني) ؟

أن غناه – عز وجل - غنى يوجب الحمد عليه بخلاف المخلوق فقد يحمد على غناه إذا بذل وأنفق وقد يذم إذا قتّر ومنع . " والله حميد على ما يأمرنا به من الأوامر الحميدة والخصال السديدة التي فيها حياة القلوب وسعادة النفوس"[١].

مناسبة الآية لما قبلها : لما رغب – سبحانه وتعالى - في الإنفاق وختم آياته. بما يقتضي الوعد من أصدق القائلين بالغني والإثابة في الدارين، أتبعه بما للعدو الكاذب من ضد ذلك فقال محذراً من البخل[٢].

الآية ٢٦٨

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ واحد الشياطين .

قيل : الشيطان فَيْعال من شَطَنَ إذا بعد فمن جعل النون أصلاً ، وهو مصدر شَطَنَه يَشْطُنُه شَطْنا خالفه عن وجهه ونيته .

---

(١) تفسير السعدي ١١٥ .

(٢) نظم الدرر/البقاعي ١/٥٢٢.

وقيل : الشيطان فَعْلان من شاط يشِيط إذا هلك واحترق . فالنون زائدة هنا .

قال الأزهري : الأول أكثر .

والشيطان: معروف ، وهو كل عات متمرد من الجن والإنس والدوآب[1] وقول: إنه مشتق من شطن أقرب؛ لأنه مصروف، وصرفه دليل على أن النون أصلية وإنما كان كذلك من البعد ؛لأن الله أبعده ولو كانت الألف والنون زائدتين لمنع من الصرف لأن زيادتهما في علم أو وصف يمنعه من الصرف.

و(الشيطان) مبتدأ ، خبره جملة (يعدكم).

﴿يَعِدُكُمُ﴾ أصله يوعدكم، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة، وهو يتعدى إلى مفعولين[2] .

قال الجوهري : الوعد يستعمل في الخير والشر ، قال ابن سيدة : وفي الخير الوَعْد والعِدة وفي الشر الإيعاد والوعيد ، فإذا قالوا أوعدته بالشر أثبتوا الألف مع الباء .

وقال الأزهري : كلام العرب وعدْت الرجل خيراً ووعدته شراً ، وأَوْعَدْتُه خيراً وأَوْعَدْتُه شراً ، فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته

---

(١) لسان العرب/ابن منظور ١٣/٢٣٧-٢٣٩.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري١/١٨٢

ولم يدخلوا ألفاً ، وإذا لم يذكروا الشر قالوا: أوعدته ولم يسقطوا الألف. وإذا أدخلوا الباء لم يكن إلا في الشر، كقولك: أَوْعَدْتُه بالضرب[١].

وقدم اسم الشيطان مسنداً إليه؛ لأن تقديمه مؤذن بذم الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم ، ولأن في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تقوي الحكم وتحقيقه[٢].

الشيطان يخوف الإنسان من الفقر إن هو أنفق من ماله، ولكن هذا الوعد غير صحيح، لقوله – تعالى -: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾[٣].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - قال: ((**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**))[٤].

---

(١) لسان العرب ٣/٤٦٣-٤٦٤.

(٢) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٥٩.

(٣) سورة سبأ ، الآية ٣٩.

(٤) صحيح مسلم ٨/٢١ كتاب البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع ، الترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في التواضع رقم (٢٠٣٠) ، والموطأ ٢/١٠٠٠ في الصدقة ، باب ما جاء في التعفف عن المسألة . قال محقق جامع الأصول : ويشهد لرواية مالك المرسلة ، رواية مسلم، والترمذي ٦/٤٥٥.

﴿ ٱلْفَقْرَ ﴾: الخلو ويوافقه في الاشتقاق وتساوي الحروف القفر ، دون ترتيب الحروف.

فالفقر : خلو ذات اليد. والقفر: المكان الخالي من الناس[١].

والفقر: شدة الحاجة إلى لوازم الحياة لقلة أو فقد ما يعاوض به، وهو مشتق من فقار الظهر، فأصله مصدر فَقَرَه إذا كسر ظهره، جعلوا العاجز بمنزلة من لا يستطيع أدنى حركة لأن الظهر هو مجمع الحركات ، ومن هذا تسميتهم المصيبة فاقرة ، وقاصمة الظهر، ويقال : فَقْر وفُقْر وفَقَر وفقُر[٢].

قال ابن كثير – رحمه الله - في قوله – تعالى -﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾:"أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله"[٣] .أ.هـ.

﴿ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾" مع نهي الشيطان إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق ، يأمركم بالمعاصي ، والمآثم ، والمحارم ، ومخالفة الخلاق."[٤]

---

(١) لسان العرب ٥/٦٠-٦٥ ، ١١٠-١١١ (مادة فقر ، وقفر).

(٢) التحرير التنوير/ابن عاشور ٣/٥٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٢١.

(٤) تفسير ابن كثير ١/٣٢١.

﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾ الفُحْش والفَحْشاء والفاحِشة: القبيح من القول والفعل. وجمعها الفواحش، وهو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، وأفحش الرجل: إذا قال قولاً فاحشاً والمتفحش: الذي يأتي بالفاحشة المنهي عنها، وكل أمر لا يوافق الحق فهو فاحشة . والفاحش: السيء الخلق المتشدد البخيل. قال ابن جني: وقالوا: فاحِشٌ وفُحَشاء كجاهل وجُهلاء حيث كان الفحش ضرباً من ضروب الجهل ونقيضاً للحِلم[١].

وقد جاءت كلمة (الفاحشة) في القرآن على عدة أضرب:

١-نكاح المحارم، كما قال – تعالى-: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾[٢].

٢-الزنا، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٣].

٣-فاحشة قوم لوط، كما قال- تعالى- : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

---

(١) لسان العرب ٦/٣٢٥-٣٢٦.

(٢) سورة النساء ، الآية ٢٢ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٣٢.

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٨٠.

٤-الذنوب، كما قال - تعالى -: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾[١].

والراجح أن الفحشاء في هذه الآية – والله تعالى أعلم- يُراد به البخل لمناسبة ذكر الفقر قبلها . وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولاً بالفقر، ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء وهو البخل ، وذلك لأن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر[٢].

فالشيطان يأمر بالبخل. والبخل إما أن يكون إخلالاً بواجب: كالزكاة والنفقة على الزوجة والأقارب، وإما أن يكون إخلالاً بمستحب: كصدقة التطوع أو الإنفاق في سبيل الله وغيرها.

ولما ذكر ما للعدو من الشر، أتبعه – سبحانه وتعالى - بما عند الله من الخير فقال:

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ عطف على جملة (الشيطان يعدكم الفقر)؛ لإظهار الفرق بين ما تدعو إليه وساوس الشيطان وما

---

(١) سورة النجم ، الآية ٣٢.

(٢) الفتوحات الإلهية/الجمل ١/٢٢٣.

تدعو إليه أوامر الله تعالى[١] .

﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ يجوز أن يكون صفة ، وأن يكون مفعولاً متعلقاً بـ (يعد)[٢] وقدم اسم الجلالة على الخبر؛ لتَقوَّي الفعل وتحقيقه .

﴿مَّغْفِرَةً﴾ أصل الغَفْر : التغطية والستر ، والمَغْفِرة : التغطية على الذنوب والعفو عنها[٣]. والتنوين في (مغفرةً) للتفخيم .

﴿وَفَضْلًا﴾: زيادة، فالصدقة تزيد المال. والمغفرة ضد الفحشاء، لأن الفحشاء تكسب الذنوب، والفضل ضد الفقر. والله – عز وجل - يعد بالمغفرة والفضل، فالحسنات مذهبة للسيئات كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[٤].

والله يخلف على المنفق بخير ورزق ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[٥].

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٦٠ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٢.

(٣) لسان العرب ٥/٢٥.

(٤) سورة هود ، الآية ١١٤.

(٥) البخاري مع الفتح ٣/٣٠٤ في الزكاة ، باب قول الله – تعالى- (فأما من أعطى واتقى) ، ومسلم ٣/٨٣ في الزكاة ، باب في المنفق والممسك.

وقد قدم المغفرة على الفضل – وكلاهما في الآخرة - وذلك لتقديم التخلية على التحلية ، ولكون رفع المفاسد أولى من جلب المصالح[1].

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع في كل شيء ، وهو واسع بالرحمة والستر والفضل، عليم بكل شيء ، وبما تنفقونه ، فيجازيكم عليه .

وقد ختم آخر آيات الأمثال بما ختم به أولها ترغيباً وترهيباً. "[2]

"و بعد أن أنهى ضرب الأمثال في الإنفاق والمال المنفق بهذا الكلام الحكيم، بين بأنه يؤتي الحكمة من يشاء ويوفقه إلى علم ما خفي من هذه الأمثال المتقنة والأقوال الحسنة، ويوفقه للعمل بذلك فقال - تعالى - منبهاً على ترجيح العمل بأمر الرحمن وقبول وعده بأنه على مقتضى العقل والحكمة ، وأن أمر الشيطان ووعده على وفق الهوى[3] .

الآية ٢٦٩

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

---

(١) روح المعاني/الألوسي ٣/٤٠.

(٢) نظم الدرر/البقاعي ١/٥٢٢.

(٣) نظم الدرر/البقاعي ١/٥٢٣(بتصرف).

﴿يُؤْتِي﴾ يعطي[١]. وهي تنصب مفعولين ، الأول : (الحكمة) ، والثاني: (من) في قوله: (من يشاء)

(يؤت) فعل مضارع مبني للمفعول، فعل الشرط، والقائم مقام الفاعل ضمير(مَنْ)الشرطية وهو المفعول الأول ، و(الحكمة) المفعول الثاني[٢]. (فقد أوتي) جواب الشرط .

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ مشتقة من أحكم يحكم إحكاماً: أي أتقن، والحكيم المتقن للأمور.

وقال الجوهري : الحكمة من العلم، والحكيم العالم للأمور. وحَكم الشيء ، وأحكمه : منعه من الفساد . واستحكم الرجل إذا تناهى عما يضره في دينه أو دينا[٣].

فالحكمة هي الإتقان ، والإتقان قائم على أمرين : العلم، والرشد. " والحكمة وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها وتستلزم علماً ورشداً، فالجاهل لا تأتي منه الحكمة إلا مصادفة ، والسفيه لا تأتي منه الحكمة، ومن فاته العلم لا يستطيع أن يحكم الشيء وهو لا يعلم، ومن عنده علم وليس عنده تصرف لا يحكم ولهذا

---

(١) المحرر الوجيز/ابن عطية ٣٢٩/٢ ، تفسير ابن عباس ١٤١/١.

(٢) ينظر : الدر المصون ٦٤٨/١.

(٣) لسان العرب/ابن منظور ١٤٠/١٢-١٤٢.

قال الله لنبيه- عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1].فالكتاب: العلم، والحكمة الرشد"[2].

قال ابن عطية – رحمه الله - واختلف المتأولون في الحكمة في هذا الموضع:

فقال السدي : الحكمة النبوة .وقال ابن عباس : هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وعربيته .وقال قتادة ومجاهد : الحكمة الفقه في القرآن . وقال مجاهد أيضاً : الإصابة في القول والفعل .وقال ابن زيد وأبو زيد بن أسلم : الحكمة العقل في الدين. وقال مالك : المعرفة في الدين والفقه فيه والاتباع له. وروي عن ابن القاسم أنه قال : الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له . وقال أيضاً الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به ، وقال الربيع: الحكمة الخشية. وقال إبراهيم وزيد بن أسلم : الحكمة الفهم. وقال الحسن : الحكمة الورع .

وهذه الأقوال كلها- ماعدا قول السدي- قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في عمل أو قول ،

---

(١) سورة النساء ، الآية ١١٣.

(٢) شريط مسجل للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -.

وكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم - حكمة، وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس. أ.هـ.[١]

والله – عز وجل - يعطي الحكمة من يشاء؛ لأن الأمر كله بيده ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

وهو لا يعطي الحكمة إلا من يعلم أنه أهل لها ، وقد ذكر سابقاً أن مشيئة الله – عز وجل – دائماً مقرونة بالحكمة ودليله قوله – تعالى -: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣].

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

من أوتي الحكمة وهي العلم والرشد فقد أوتي الخير الكثير.

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ بناء للمفعول إما لأن المقصود بيان فضيلة من نال الحكمة بقطع النظر عن الفاعل، وإما لتعين الفاعل والإظهار في مقام الإضمار للاعتناء بشأن هذا المظهر ولهذا قدم من قبل على المفعول الأول وللإشعار بعلة الحكم[٤] .

---

(١) المحرر الوجيز/ابن عطية ٣٣٠/٢ ،وينظر: ابن كثير ٣٢٢/١ ، الدر المنثور/السيوطي ٣٤٨/١.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٢٦.

(٣) سورة: الإنسان ، الآية: ٣٠.

(٤) روح المعاني/الآلوسي ٤١/٣.

وتنكير﴿ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ تنكير تعظيم[1].

وقد اختلف الأسلوب، فقال في الأول: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ وذلك: بأن الحكمة قد تكون غريزة وقد تكون مكتسبة بمعنى أن الإنسان قد يحصل له مع المران ومخالطة الناس، من الحكمة وحسن التصرف ما لا يحصل له لو كان منعزلاً ، ولهذا أتى بالفعل المضارع المبني للمفعول؛ ليعم كل طرق الحكمة التي تأتي منها سواءً أوتي الحكمة من قبل الله، أو من قبل الممارسة والتجارب، على أن ما يحصل من الحكمة بالممارسة والتجارب هو من الله – عز وجل- فهو الذي قيض لك من يفتح لك أبواب الحكمة والخير[2].

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (يذكر) الأصل : يتذكر فأبدلت التاء ذالاً لتقرب منها فتدغم[3]. والتذكر بمعنى الا تعاظ والاعتبار .

(أولوا) أصحاب ، وهي ملحقة بجمع المذكر السالم؛ ولهذا رفعت بالواو .

---

(١) الكشاف/الزمخشري ١/٣٤٣.

(٢) شريط مسجل للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -.

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٣.

(الألباب) جمع لب وهو العقل[١] . ولب كل شيء: خالصه؛ لذلك قيل للعقل لب[٢]. أي ما يتفكر ولا يتعظ إلا ذوو العقول .

" ولإظهار الاعتناء بمدحهم بهذه الصفة أقيم الظاهر مقام المضمر[٣]".

آية ٢٧٠

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم ﴾ جملة شرطية . (ما) شرطية ، وهي تفيد العموم .

(أنفقتم) فعل الشرط (أو نذرتم من نذر) شرط.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ جواب الشرط .

﴿ نَّفَقَةٍ ﴾ نكرة في سياق النفي؛ لتعم كل نفقة . أي نفقة أنفقتموها واجبة أو مستحبة ، قليلة أو كثيرة ، سراً أو علانية، في حق أو باطل فإنها لا تخفى عليه – سبحانه - فهذا من باب التذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء من النفقات وصفاتها ، والنذور وغيرها .

---

(١) لسان العرب ١/٧٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٢/٤١٢.

(٣) روح المعاني/الألوسي ٣/٤٢.

"و(من) في قوله : (من نفقة) و (من نذر) بيان لما أنفقتم ونذرتم ، ولما كان شأن البيان أن يفيد معنى زائداً على معنى المبيَّن ، وكان معنى البيان هنا عين معنى المبين ، تعين أن يكون المراد منه بيان المنفَق والمنذور بما في تنكير مجروري (من) من إرادة أنواع النفقات والمنذورات. فأكد بذلك العموم ما أفادته ما الشرطية من العموم من خيرٍ أو شر في سبيل الله أو في سبيل الطاغوت ، قال التفتازاني : مثل هذا البيان يكون لتأكيد العموم ومنع الخصوص"[1].

ووحد الضمير في (يعلمه) وإن كان قد تقدم شيئان : النفقة والنذر لأن العطف هنا بـ(أو) وهي لأحد الشيئين[2].

﴿أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ﴾ النذر: الإلزام. وهو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه[3]. مثل أن يلتزم الإنسان قُربة أو صدقة بصيغة الإيجاب على النفس كقوله: عليّ صدقة وعلي تجهيز غازٍ ونحو ذلك ويكون مطلقاً ومعلقاً على شيء[4] .

وأصل عقد النذر مكروه لنهي النبي-صلى الله عليه وسلم- عنه

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٦٦/٣.

(٢) الدر المصون ٦٤٩/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ١٢٧/١٩.

(٤) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٦٥/٣.

سواء عقده ابتداءً أوبشرط. فلا ينبغي أن يُلزم الإنسان نفسه بما لم يُلزمه به الله .

جاء في الصحيحين عن ابْن عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :« **إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخِّرُ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنْ الْبَخِيلِ**»[(١)].

حكم الوفاء بالنذر:

الوفاء بالنذر واجب إذا كان في طاعة ، وقد امتدح الله – عز وجل - من يفي بنذره حيث قال - عز من قائل -:﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ أي لا يخلفون إذا نذروا " قال مجاهد وعكرمة : يوفون إذا نذروا في حق الله - جل ثناؤه - ."[(٢)]

وعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: « **مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ**

---

(١) البخاري ٤٩٩/١١ في القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر، وفي الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر ٥٧٥/١٨، مسلم ٧٧/٥ في النذر، باب النهي عن النذر/وأنه لا يرد شيئاً، أبو داود ٢٣١/٣ في الأيمان والنذور، باب النهي عن النذر، النسائي ١٥/٧-١٦ في الأيمان والنذور، باب النهي عن النذر، وباب النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره .

(٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ١٢٧/١٩.

أَنْ يعصي الله فَلَا يَف بِهِ))[1].

ومن لم يف بنذره يخشى عليه؛ لما جاء في قوله - تعالى - :

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[2].

وقد كان النذر معروفاً في الأمم السابقة :

١-فقد حكى الله عن امرأة عمران قوله – تعالى -: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾[3]. وقوله: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[4].

٢-وقد عرفت العرب النذر في الجاهلية، فقد نذر عبدالمطلب

---

(١) البخاري ٥٨٥/١١ في الأيمان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية . وأبو داود ٢٣٢/٣ في الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية، والترمذي رقم(١٥٢٦) في النذور والأيمان ، باب من نذر أن يطيع الله فليطعه ، والنسائي ١٧/٧ في الأيمان والنذور ، باب النذر في المعصية.

(٢) سورة التوبة ، الآيات :٧٥-٧٧.

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٣٥.

(٤) سورة مريم ، الآية ٢٦.

أنه إن رزق عشرة أولاد أو ليذبحن عاشرهم قرباناً للكعبة، وكان ابنه العاشر هو عبدالله ثاني الذبيحين[١] .

ونذرت نُتَيلةُ زوج عبدالمطلب - لما افتقدت ابنها العباس وهو صغير – إنها إن وجدته لتكْسُوَنَّ الكعبة الديباج ففعلت . وهي أول من كسا الكعبة الديباج.

وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - قال يا رسول الله ،إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف يوماً في المسجد الحرام؟ قال: ((**أوفِ بنذرك**))[٢].

ولا تعارض بين الآية والحديث فالآية تمتدح الموفي بالنذر كما في قوله – تعالى -: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾. والأمر بالوفاء لا يدل على جواز النذر، بينما الحديث ينهى عن إلزام النفس بالنذر.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ إدخال من لتأكيد الاستغراق[٣].

---

(١) البداية والنهاية/ابن كثير ٣٤٤/٢.

(٢) البخاري٢٧٤/٤ في الاعتكاف ، باب الاعتكاف ليلاً ، والأيمان والنذور ٥٧٥/١١، ومسلم ٨٨/٥ في الأيمان ، باب نذر الكافر ، وأبو داود ٢٤٢/٣ في الأيمان والنذور ، باب من نذر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام، الترمذي رقم (١٥٣٩) في الأيمان والنذور ، باب ما جاء في وفاء النذر ، والنسائي ٢١/٧-٢٢ في الأيمان والنذور ، باب إذا نذر ثم أسلم قبل أيفي.

(٣) نظم الدرر/ البقاعي ٥٢٥/١.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ الفاء داخلة في الجواب .

يعلم ما أنفقتموه أو ما نذرتموه. وفي هذا وعد لمن أنفق على الوجه المقبول ، ووعيد لمن جاء على خلاف ذلك . والله – سبحانه وتعالى - يعلم الظاهر والباطن ، ومجازيكم عليه. فمن علم أن الله مجازيه على إخلاصه استشعر بما يلزم ذلك العلم .

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ الظلم: وضع الأشياء في غير مواضعها التي يحق أن توضع فيها.

(أنصار) جمع نصير، مثل شريف وأشراف[1] ، فليس لهذا الظالم من أعوان ينصرونه من بأس الله – تعالى - ويدفعون عذابه عنه فلا يجد الظالم بوضع القهر موضع البر ناصراً.

وقد يقول قائل: إن الظالمين لهم أنصار في الدنيا من الظلمة وغيرهم .

"يجاب بأن في الدنيا ليس لهم نصير بل إن الله قد يعدمهم النصير في المضائق . ويقسّي عليهم قلوب عباده ، ويلقي عليهم الكراهة من الناس"[2].

---

(١) تفسير البغوي ١/٢٥٧.

(٢) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٦٦.

آية ٢٧١

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

لما كان حال الإنفاق المحثوث عليه يختلف بالسر والجهر فكان مما يسأل عنه قال – سبحانه وتعالى - حاثاً على الصدقة في كلتا الحالتين مع ترجيح الإسرار لما فيه من البعد عن الرياء[١].

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ جملة – شرطية - وهو استئناف بياني. والجملة تفصيل لبعض ما أجمل في الشرطية، وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما .

﴿ تُبْدُوا ﴾ أي تظهروها فتصير علانية[٢].

﴿ الصَّدَقَاتِ ﴾ المراد من الصدقات - على ما ذهب إليه جمهور المفسرين-: صدقات التطوع، وقيل: الصدقات المفروضة ، وقيل: العموم[٣].

التعريف في قوله: (الصدقات) للجنس، ومحملة على العموم

---

(١) نظم الدرر/البقاعي ١/٥٢٦.

(٢) تفسير السعدي ١١٦.

(٣) روح المعاني/الألوسي ٣/٤٤.

فيشمل كل الصدقات فرضها ونفلها[1]. وفي تعريفها وجمعها ما يشعر بعموم الفرض والنفل[2].

وسميت الصدقة صدقة؛ لأنها تدل على صدق إيمان صاحبها ، فلم يخرج المال الذي يحبه كما قال الله- تعالى-: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[3]. إلا لصدق إيمانه وانتظار الثواب من الله.

﴿فَنِعِمَّا﴾ أي نعمت الخصلة هي[4]. (نعم) فعل جامد لايكون فيه مستقبل، وأصله نَعِم كعَلِم؛ ولكنهم سكنوا العين، ونقلوا حركتها إلى النون ليكون دليلاً على الأصل[5].

فقوله: (نعما) أصلها فنعم ما، فأدغم المثلان، وكسرت عين نعم؛ لأجل التقاء الساكنين.

(ما) نكرة تامة أي متوغلة في الإبهام، لا يقصد وصفها بما يخصصها فتمامها من حيث عدم إتباعها بوصف، لا من حيث إنها واضحة المعنى ، ولذلك تفسر بشيء . ولما كانت كذلك تعين أن

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٦٧/٣.

(٢) نظم الدرر/البقاعي ٥٢٦/١.

(٣) سورة الفجر ، الآية ٢٠.

(٤) تفسير البغوي ٢٥٧/٣.

(٥) التبيان في إعراب القرآن /العكبري ١٨٣/١.

تكون في موضع التمييز لضمير نعم المرفوع المستتر[١].

﴿هِيَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ كأن قائلاً قال: ما الشيء الممدوح؟ فيقال: هي؛ أي الممدوح الصدقة[٢]. لذلك كان تفسير المعنى فنعما إبداؤها .

"وهنالك وجه آخر لإعراب (هي) وهو أن يكون هي مبتدأ مؤخراً ، ونعم وفاعلها الخبر؛ أي الصدقة نعم الشيء"[٣].

إذاً جمع لها الأمداح المبهمة لأن نعم كلمة مبالغة تجمع المدح كله، و(ما) كلمة مبهمة تجمع الممدوح فتطابقا في الإبهام.

(هي) المخصوص بالمدح، والمقصود الصدقات

وفي(نعما) قراءات متواترة هي[٤]:

قرأ ابن عامر ، وحمزة، والكسائي، وخلف (فَنَعِمَّا) .

وقرأ ورش ، وابن كثير ، وحفص ، ويعقوب (فَنِعِمَّا) .

وقرأ قالون ، وأبو عمرو ، وشعبة بخلف عنهم، وأبو جعفر (فَنِعْمَّا) .

وباختلاس كسرة العين : قالون ، وأبو عمرو، وشعبة[٥] .

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٦٧/٣.

(٢) التبيان في إعراب القرآن /العكبري ١٨٣/١.

(٣) التبيان في إعراب القرآن /العكبري ١٨٣/١.

(٤) المهذب ١٠٦/١، السبعة ١٩٠،الغاية ١٢٠، النشر ٢٣٥/٢ .

(٥) الغاية/النيسابوري ١٢٠/، المهذب ١٠٦/١ ، السبعة/ابن مجاهد ١٩٠ .

والفاء في (فنعما) واقعة في جواب الشرط.

﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

﴿ وَإِن تُخْفُوهَا ﴾ جملة شرطية فلذلك حذفت النون. وجوابها ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ و الفاء واقعة في الجواب .

﴿ وَإِن تُخْفُوهَا ﴾ وفي هذا وقوله: (إن تبدوا) طباق لفظي. أي تسروها ولا تعلنوها.

قال ابن كثير-رحمه الله-:

فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء . إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية أ.هـ[1]. ولا شك أن الصدقة عموماً خير؛ لأن نفعها متعدٍ إلى الغير ، فهي إحسان إلى الناس لذلك أثنى الله – عز وجل - على الصدقات عموماً سواء أبديت أو أخفيت،والإخفاء أفضل لقوله: (وإن تخفوها ..)

ولما ثبت في الصحيحين عَن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ**

(١) تفسير ابن كثير ٣٢٢/١ .

كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ))[1].

(وتؤتوها) عطف على (وإن تخفوها) أي: تعطوها ﴿ٱلْفُقَرَآءَ﴾ جمع فقير.

لم خص الفقير بالذكر مع أن الصدقة لا تكون إلا له ؟

لأن الفقير يظهر فيه ويمتاز عن غيره، إذ يعلمه الناس بحاله ، بخلاف الإخفاء ، فاشترط معه إيتاؤها للفقير حثاً على الفحص عن حال من يعطيه الصدقة .

فعطف إيتاء الفقراء على الإخفاء المجعول شرطاً للخيرية في الآية

---

(١) البخاري مع الفتح ٢٩٣/٣ في الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، وفي الجماعة ، باب من جلس في المسجد، وفي الرقاق ، باب البكاء من خشية الله ، وفي المحاربين ، باب فضل ترك الفواحش ، ومسلم ٩٣/٣ في الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة، والموطأ ٩٥٢/٢-٩٥٣ في الشعر ، باب ما جاء في المتحابين في الله، والترمذي (٢٣٩٢) في الزهد ، باب ما جاء في الحب في الله ، والنسائي ٢٢٢/٨-٢٢٣ في القضاة ، باب الإمام العادل .

يؤذن بأن الخيرية لإخفاء حال الفقير وعدم إظهار اليد العليا عليه[1].

﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من إبدائها وإظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وابتغاء مرضاة الله. كما أن في إخفاء الصدقة ستراً لحال الفقير؛ لأن بعض الفقراء يسوؤهم أن تعلم حالهم والجملة "جواب الشرط، وموضعها جزم، وهو ضمير مصدر لم يذكر، ولكن ذكر فعله، والتقدير: فالإخفاء خير لكم، أو فدفعها إلى الفقراء في خفية خير[2].

(ويكفر عنكم من سيئاتكم) يكفر : يمحو ويستر[3] الخطيئات .

وفيها قراءات متواترة هي[4]:

(ونُكَفِّرْ) : نافع ، وحمزة ،والكسائي ، وأبو جعفر ، وخلف .

(ونُكَفِّرُ): ابن كثير ، وأبو عمرو ، وشعبة ، ويعقوب .

(ويُكَفِّرُ) : الباقون .

فالجزم فيها : باعتبار أنها معطوفة على محل قوله: (فهو خير لكم)

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٦٨-٦٩ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن/ العكبري ١/١٨٤.

(٣) لسان العرب/ابن منظور ٥/١٤٩ .

(٤) الغاية/النيسابوري ١٢٠، النشر ٢/٢٣٦ ، المهذب ١/١٠٦ .

فهو مجزوم لأنه جواب الشرط. وأما الرفع : فعلى الاستئناف[١].
والواو عاطفة جمل على جمل .
(من) فيها ثلاثة أقوال[٢]:

١-إنها للتبعيض: أي بعض سيئاتكم؛ لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات.

٢-إنها زائدة وهو جارٍ على مذهب الأخفش. وقد خطّأ ذلك ابن عطية من حيث المعنى

٣-إنها للسببية ، أي : من أجل ذنوبكم ، وهذا ضعيف .

﴿ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ جمع سيئة وهي مشتقة من ساءه يَسُوءُه سَوءاً وسُوءاً : فعل به ما يكره[٣].

والسيئات تسوء المسلم في الدنيا والآخرة ، ولكن بفضل الله - عز وجل - قد يكفر بعض هذه السيئات بسبب الصدقات وبغيرها من الأعمال الحسنة بفضل الله وسعة رحمته .

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ الآية فيها وعد ووعيد .

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٤ .

(٢) الدر المصون ١/٦٥٢ (بتصرف بسيط) .

(٣) لسان العرب/ابن منظور ١/ ٩٥-٩٦.

(بما تعلمون) متعلق بقوله: (خبير)

وقدم (بما تعملون) على (خبير)؛ لإفادة الحصر.

وقد يرد تقديم (بما تعملون) على (خبير)كما معنا في هذه الآية، وأحياناً يقدم (خبير) على (بما تعملون) كما في قوله: (والله خبير بما تعملون) فالإجابة على ذلك:

يقال: إن إفادة الحصر في الآية الأولى أنه حصر إضافي لأنه – سبحانه وتعالى - خبير بما نعمل وخبير بما لا نعمل. وقدمه في الآية الثانية ، لأنه خبير بكل شيء وإنما قدم (خبير) للاهتمام، والتهديد للمخالف .

(خبير) خبرت بالأمر أي: علمته ، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته. وهو من أسماء الله – عز وجل - وهو العالم بما كان وما يكون[1]. فالخبير: ذو الخبرة؛ وهي العلم ببواطن الأمور[2]. والعليم ببواطنها ، عليم بظاهرها من باب أولى . فلا يخفى عليه شيء وسيجازيكم على أعمالكم .

آية ٢٧٢

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى/ابن منظور/٧٠ .

(٢) المقصد الأسنى/الغزالي ١٠٢ .

فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

بعد أن بينت الآيات السابقة أصناف الناس : منهم من ينفق رئاء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، ومنهم من يبطل صدقته بالمن والأذى ، ومنهم الذي يقصد الخبيث؛ فهذا مما قد يكون ثقيلاً على النبي- صلى الله عليه وسلم - فعقب الله ذلك بتسكين نفسه والتهوين عليه بأن ليس عليه هداهم ، ولكن عليه البلاغ[١] .

﴿ هُدَىٰهُمْ ﴾ الضمير عائد على الناس. والخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم- ومنسحب على غيره.

والهداية المنفية عن النبي- صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية هي هداية التوفيق، أما هداية الإرشاد والدلالة والتبليغ فهي على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- .

لقوله – تعالى -: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[٢] وقوله : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[٣] .

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٦٩(بتصرف بسيط) .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٤٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٩٩.

فنفى الهداية عنه في قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ مثل قوله – تعالى- : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1]. فالهداية المنفية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وعن الناس هي خاصة بالله – عز وجل- وحده ، ولو كانت بمقدور أحد من البشر لهدى الرسول – صلى الله عليه وسلم- عمه أبا طالب .

﴿عَلَيْكَ ﴾على تفيد الاستعلاء، أي طلب فعل على وجه الوجوب. وتقديم الظرف الذي من حقه التأخير (عليك) على المسند إليه وهو ﴿هُدَىٰهُمْ ﴾ يفيد قصر المسند إليه على المسند[2].

(هداهم) اسم ليس، وخبرها الجار والمجرور (عليك).

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ جيء فيه بحرف الاستدراك؛ لما في الكلام المنفي من توهم إمكان هديهم بالحرص أو بالإلجاء ، فمصب الاستدراك هو الصلة (من يشاء)[3].

إذاً الله يهدي من يشاء هداية دلالة وإرشاد وهداية توفيق جميعاً .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٥٦ .

(٢) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٧٠.

(٣) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٧٢.

ولكن المراد هنا هداية التوفيق؛ لأنها تفيد نفي الهداية عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- وقصرها على الله – عز وجل - .

(من يشاء) مشيئة الله – عز وجل- مرتبطة بالحكمة . فلا يشاء شيئاً إلا والحكمة تقتضي تلك المشيئة.وعلى هذا فالله – عز وجل - يهدي من يشاء ممن هو أهل للهداية . أما الذين ليسوا أهلاً للهداية فإن الله – عز وجل - لا يهديهم وهذا كله بعدله وحكمته .

وفي هذا رد على القدرية ، وطوائف من المعتزلة ، والإمامية؛ لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه ، طاعة كانت أو معصية؛ لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله ، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه .

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ (ما) شرطية جازمة لتنفقوا بدليل اقتران الجواب بالفاء.

(من) تبعيضية. أي شيء تنفقوا كائناً من المال .

(خير) يراد به المال هنا . وهو بيان لما الشرطية؛ لأن ما الشرطية مبهمة تحتاج إلى بيان "ولأنه قد اقترن بذكر الإنفاق؛ فهذه القرينة تدل على أنه المال ، ومتى لم تقترن بما يدل على أنه المال فلا يلزم أن يكون بمعنى المال"[1]. كما في قوله – تعالى - : ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ

(١) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣٣٩/٣ .

خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾[1] .

قلت : إن الخير : كل ما بذل لوجه الله في سبيله من مال أو أعيان ومنافع ، وأغلب ما يكون في الأموال ، ولا يمنع ذلك أن يكون في المنافع أيضاً .

(فلأنفسكم) الفاء رابطة للجواب.

(لأنفسكم) "خبر لمبتدأ محذوف أي : فهو لأنفسكم "[2].

إذاً ما ينفق من خير فلا ينتفع به الله – عز وجل - لأنه غني عن خلقه وعما عملوه .إنما المنتفع هو المُنْفِق . فلما كانت المنفعة لنفس المتصدق فليختر لنفسه ما هو خير ، وعليه أن يكثر ، وأن يختار من جيد ماله وما يملك لينفق منه .

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ جملة حالية ، وهو خبر مستعمل في معنى الأمر[3].

(ما) نافية ؛ أي ما تنفقون إنفاقاً ينفعكم إلا ما ابتغيتم به وجه الله.

قال ابن عطية – رحمه الله:

"إن النفقة المعتد بها المقبولة إنما هي ما كان ابتغاء وجه الله ، هذا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية :١٩٨ .

(٢) الدر المصون ٦٥٣/١ .

(٣) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٧٢/٣.

أحد التأويلات ، وفيه تأويل آخر وهو أنها شهادة من الله – تعالى – للصحابة أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجه الله ، فهو خير منه، لهم فيه تفضيل"[١] .أ.هـ.

وقال البغوي – رحمه الله – في قوله: (وما تنفقون) :

هذه لفظة جحد ومعناه نهي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله[٢].أ.هـ.

وعلى هذا الرأي يكون الكلام خبراً مستعملاً في الطلب لقصد التحقيق والتأكيد.

(إلا ابتغاء) أي طلب،و فيه وجهان[٣]:

أحدهما : أنه مفعول من أجله ، أي : لأجل ابتغاء وجه الله .

والثاني : أنه مصدر في محل الحال ، أي : إلا مبتغين .

(وجه الله) المراد به الوجه الحقيقي الذي هو صفته، والذي ينبغي أن يثبت لله ، دون تشبيه أو تحريف أو تعطيل .

فإنفاق هؤلاء كان من أجل أن ينظروا إلى وجه الله بعد دخولهم الجنة نظراً حقيقاً بالعين. كما قال – تعالى –: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

---

(١) المحرر الوجيز/ابن عطية ٣٣٦/٢ .

(٢) تفسير البغوي ٢٥٨/٣ .

(٣) الدر المصون ٦٥٣/١ .

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1].

وكما جاء في الحديث عَنْ جَرِيرٍ بن عبدالله – رضي الله عنه – قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، قَالَ: « **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا ثُمَ قَرَأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾**»[2][3].

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(ما) شرطية ، بدليل جزم الفعل (تنفقوا) بحذف النون، وجزم الجواب (يوف) فإنه مجزوم بحذف حرف العلة وهي الألف.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي خير تنفقونه من الأموال وغيرها قليلاً

---

(١) سورة القيامة ، الآيتان ٢٢-٢٣ .

(٢) سورة ق ، الآية ٣٩ .

(٣) رواه البخاري ٣٣/٢ في مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، وباب فضل صلاة الفجر ٥٢/٢ وفي تفسير سورة (ق) ٥٩٧/٨ ، وفي التوحيد ، باب قوله – تعالى – (وجوه يومئذ ناضرة) ٤١٩/١٣ ، ومسلم ١١٤/٢ في المساجد ، باب فضل صلاة الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، وأبو داود ٢٣٣/٤ في السنة ، باب في الرؤية ، والترمذي رقم (٢٥٥٤) في صفة الجنة ، باب ما جاء في رؤية الله – تبارك وتعالى- .

كان أو كثيراً

﴿ يُوَفَّ ﴾ " أي يوفر لكم جزاؤه ، ومعناه: يؤدى إليكم ، ولذلك دخل فيه إلى ."[١] فيوفي الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

و (يوف) مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

وقد كرر فعل تنفقون ثلاث مرات في الآية لمزيد الاهتمام بمدلوله، وجيء به مرتين بصيغة الشرط عند قصد بيان الملازمة بين الإنفاق والثواب، وجيء به مرة في صيغة النفي والاستثناء؛ لأنه قصد الخبر بمعنى الإنشاء، أي النهي عن أن ينفقوا إلا لابتغاء وجه الله. كما جعلت جملاً مستقلاً بعضها عن بعض ولم تجعل جملة واحدة مقيدة فائدتها بقيود جميع الجمل، وأعيد لفظ الإنفاق في جميعها بصيغ مختلفة؛ للاهتمام بشانه"[٢].

﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ الواو للحال."والجملة مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من الضمير في (إليكم) والعامل فيها (يوف). ويجوز أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب"[٣].

---

(١) تفسير البغوي ٣/٢٥٩ .

(٢) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٧٢-٧٣ (بتصرف بسيط) .

(٣) الدر المصون ١/٦٥٣ .

(لا تظلمون) لا تظلمون؛ لأن الله ـ عز وجل ـ لا يظلم كما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

وقال ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2].

والله حرم الظلم على نفسه لكمال عدله لا لعجزه عن الظلم، وكلما نفى الله – عز وجل – عن نفسه شيئاً من هذه الصفات؛ فإن ذلك يستلزم كمال ضده .

آية ٢٧٣

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام ، قيل : هي مردودة على موضع اللام من قوله: (فلأنفسكم) كأنه قال: وما تنفقوا من خير فللفقراء ، وإنما تنفقون لأنفسكم. وقيل: معناها الصدقات التي سبق

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٦ .

ذكرها. وقيل: خبر محذوف تقديره : للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم للفقراء المهاجرين[١]. ورجح العكبري أنها: في موضع رفع خبر ابتداء محذوف تقديره : الصدقات المذكورة للفقراء وقيل التقدير: أعطوا للفقراء[٢].

فـ (للفقراء) متعلق بتنفقون الأخير، وتعلقه به يؤذن بتعلق معناه بنظائره المقدّمة، فما من نفقة ذكرت آنفاً إلا وهي للفقراء؛ لأن الجمل قد عضد بعضها بعضاً[٣].

الفقراء :جمع فقير وهو المعدوم وذلك لاشتقاق الكلمة من الفقر الموافق لكلمة القفر وهو: الأرض الخالية.

"وهؤلاء هم فقراء المهاجرين ، كانوا نحواً من أربعمائة رجل؛ لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر،وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار،وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهم أصحاب الصفة[٤]، فحث الله – تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل

---

(١) تفسير البغوي ٣/٢٥٩ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٤.

(٣) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٧٤ .

(٤) الصُّفّة من البنيان شبه البهو الواسع الطويل السمك، وهو موضع مظلل من المسجد =

أتاهم به إذا أمسى."[1].

وقد خص فقراء المهاجرين بالذكر؛ لأنه لم يكن هناك سواهم، لأن الأنصار كانوا أهل أموال وتجارة في قطرهم. وقال الفقيه أبو محمد ابن عطية: والآية تتناول كل من دخل تحت صفة الفقر غابر الدهر[2].

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ روى الأزهري عن يونس أنه قال: إذا رُد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر، وإذا حبس فقد حُصِر. أبو عبيدة: حُصِر الرجل في الحبس ، وأحصر في السفر من مرض أو انقطاع به وقال ابن السكيت: يقال أحصره المرض إذا منعه من السفر أو من حاجة يريدها، وأحصره العدو إذا ضيق عليه. الجوهري: حصره العدو يحصرونه إذا ضيقوا عليه وأحاطوا به. وقال أبو إسحاق النحوي: الذي يمنعه الخوف والمرض أحصر، ويقال للمحبوس: حُصِر[3].

=

كان يأوي إليه المساكين، وهو موضع بناه النبي – صلى الله عليه وسلم – في المسجد النبوي بالمدينة كالرواق ليأوي إليه فقراء المهاجرين (اللسان ١٩٥/٩).

(١) تفسير البغوي ٢٥٩/٣.

(٢) المحرر الوجيز/ابن عطية ٣٣٧/٢(بتصرف بسيط) .

(٣) لسان العرب/ابن منظور ١٩٥/٤ .

(أحصروا) أي منعوا؛ لأن الإحصار بمعنى المنع ، وذلك مثل قوله - تعالى - ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾[1] أي : منعتم عن إتمام الحج والعمرة.

"و(أحصروا) حبسوا ومنعوا. قال قتادة وابن زيد: حبسوا أنفسهم عن التصرف في معايشهم خوف العدو."[2]

وخلاصة قول العلماء في بيان من هم الفقراء الذين أحصروا :

- قال ابن عباس ، ومقاتل، ومحمد بن كعب القرظي: هم أهل الصفة حبسوا أنفسهم على طاعة الله ولم يكن لهم شيء وكانوا نحو أربعمائة.

وقال مجاهد: هم فقراء المهاجرين من قريش، ثم يتناول من كان بالصفة .

وقال سعيد بن جبير : هم قوم أصابتهم جراحات مع النبي – صلى الله عليه وسلم - فصاروا زَمْنَي[3].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٣٤٠.

(٣) زمنى : زَمِنَ يَزْمَنُ زَمَناً وزُمْنة فهو زَمِن ، والجمع زَمِنونَ . وزَمْنَى. فهو جنس للبلايا التي يصابون بها ويدخلون فيها وهم لها كارهون ، على وزن جريح وجرحى (لسان العرب ١٣/١٩٩).

وقال الكسائي : أحصروا من المرض ، ولو أراد الحبس من العدو لقال : حصروا .

وقال السدي : أحصروا من خوف الكفار إذ أحاطوا بهم .

وقال قتادة : حبسوا أنفسهم للغزو ، ومنعهم الفقر من الغزو .

وقال محمد بن الفضل : منعهم علو همتهم عن رفع حاجتهم إلا إلى الله .

وقيل معناه : من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً لهم، فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم[1].

وجملة : (الذين أحصروا) صفة.

﴿فِي سَبِيلِ﴾ (في) للسببية ، أو للظرفية، أو للتعليل .

فإن كانت في قوم جرحوا في سبيل الله فصاروا زمنى فهي للسببية.

وإن كانت في قوم بصدد القتال يحتاجون للمعونة فهي للظرفية.

وإن كانت في أهل الصفة وهم فقراء المهاجرين ، لأنهم قد عِيقُوا عن أعمالهم لأجل سبيل الله وهو الهجرة ، فهي للتعليل[2].

إذاً هؤلاء الفقراء قد حصروا أنفسهم وقصروها على طاعة الله من

---

(١) ينظر: الدر المنثور/السيوطي ٣٥٨/١، تفسير البغوي ٢٥٩/٣

(٢) ينظر: التحرير والتنوير/ابن عاشور ٧٤/٣.

جهاد وغيره ، فهم مستعدون لذلك محبوسون له.

ويجوز أن يكون إعراب (في سبيل الله) حالاً؛ أي أحصروا مجاهدين[١].

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ في هذه الجملة احتمالان :

الأول ، وهو أظهرهما : أنها حال ، وفي صاحبها وجهان : أحدهما أنه (الفقراء) وثانيهما: أنه مرفوع (أحصروا) .

الثاني : أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

﴿ضَرْبًا﴾ مفعول به .

والضرب السفر للتجارة أو نحوه .

قال ابن كثير – رحمه الله -:

يعني سفراً للتسبب في طلب المعاش والضرب في الأرض هو السفر قال – تعالى -: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [٢].

وقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[٣] أ.هـ .[٤]

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٤.

(٢) سورة النساء ، الآية ١٠١.

(٣) سورة المزمل ، الآية ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير ١/٣٢٤.

إذاً هم لا يستطيعون سفراً يبتغون به الرزق لأنهم إما مشغولون بالجهاد أو عاجزون عن السفر بسبب ما أصابهم من جراحات ونحو ذلك .

وذلك أن من شأن التاجر أن يسافر ليبتاع ويبيع فهو يضرب الأرض.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾

﴿يَحْسَبُهُمُ﴾ حال، ويجوز أن يكون مستأنفاً لا موضوع له[1]. فيها قراءتان[2]:

(يَحْسَبُهُم) قراء ة ابن عامر، وعاصم ، وحمزة، وأبي جعفر وهي لغة تميم .

(يَحْسِبُهُم) الباقون وهم أبو عمرو، والكسائي، ونافع، وابن كثير. وهي لغة الحجاز .

﴿ٱلْجَاهِلُ﴾ اسم جنس لا يراد به واحد بعينه[3]. وهو فاعل، فيحسبهم، الجاهل بحالهم ليسوا فقراء.والضمير في (يحسبهم) مفعول (يحسب) الأول، و(أغنياء) مفعول ثانٍ.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٤.

(٢) المهذب ١/١٠٧ ، النشر٢/٢٣٦ ، السبعة ١٩١ ، المبسوط (٥٥٧).

(٣) الدر المصون ١/٦٥٥.

﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ (من): قيل إنها سببية: أي سبب حسبانهم أغنياء تعففهم،فهو مفعول من أجله.

وقيل: إنها لابتداء الغاية، والمعنى أن محسبة الجاهل غناهم نشأت من تعففهم، لأنه لا يحسب غناهم غنى تعفف إنما يحسبه غنى مال.

وقيل: إنها لبيان الجنس – وإليه نحا ابن عطية - وقال: يكون التعفف داخلا في المحسبة، فهم لا يظهر لهم سؤال، فالجاهل بهم مع علمه بفقرهم يحسبهم أغنياء عنه[١].

(التعفف) عَف يَعِف عِفَّة واستَعَفّ : أي عَفّ ، وتَعَففَّ : أي تكلف العِفة ، وعَف واعْتَف : من العِفة[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -:

وقول من قال: إن تعفف تكلف العفة، ليس بصواب. بل الصواب أن التاء هنا للمبالغة وليست للتكلف والطلب بل المعنى أنك تحسبهم أغنياء؛ لكمال عفتهم فلا يسألون الناس[٣].

---

(١) الدر المصون ١/٦٥٥.

(٢) لسان العرب/ابن منظور ٩/٢٥٣.

(٣) شريط مسجل للشيخ - رحمه الله -.

فالجاهل بحالهم لتعففهم يحسبهم أغنياء وفي هذا المعنى جاء الحديث المتفق على صحته . فعن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:«**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَة وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطَنُ به فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**»، وفي رواية «**إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ اقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾**»[1]".

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾

الأمر الأول: أن الذي ينظر إليهم يحسبهم أغنياء بحسب ظاهر حالهم.

أما المعرفة بالسيما فهذه تحتاج إلى النظر والتدقيق .

﴿تَعْرِفُهُم﴾ يجوز أن يكون حالاً ، وأن يكون مستأنفاً [2].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣٤٠/٣ في الزكاة ، باب قول الله – تعالى -: (لا يسألون الناس إلحافاً) ، وفي تفسير سورة البقرة ، باب (لا يسألون الناس إلحافاً)، ومسلم ٩٥/٣ في الزكاة ، باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه، والموطأ ٩٢٣/٢ في صفة النبي – صلى الله عليه وسلم - ، باب ما جاء في المساكين ، وأبو داود ١١٦/٢ في الزكاة ، باب من يعطي من الصدقة وحد الغني بنحوه ولكن بدون ذكر الآية ، والنسائي ٨٥/٥ في الزكاة باب تفسير المسكين.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري١/١٨٤.

﴿سِيمَاهُمْ﴾ السيما: العلامة.

مشتقة من سَام الذي هو مقلوب وَسَم بمعنى السمة نقلت الفاء إلى موضع العين وقلبت ياءاً لوقوعها بعد كسرة. والوسم: أثر الكي. ويقولون: سِيمى بالقصر وسِيماء بالمد[١].

أي: تعرفهم بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم، كما قال تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾[٢] ، وقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[٣]، وفي الحديث الذي في السنن « **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ**»[٤] ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٥]. "[٦]

" واختلفوا في معناها ههنا، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع،

---

(١) ينظر : لسان العرب ٦٣٥/١٢-٦٣٦ ، فتح القدير/الشوكاني ٢٩٣/١.

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٩.

(٣) سورة محمد ، الآية ٣٠.

(٤) رواه الترمذي (٣١٢٥) في التفسير ، باب ومن سورة الحجر ، وفي سنده عطية العوفي ، وهو ضعيف (جامع الأصول ٢٠٦/٢) وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٤ وزاد نسبته لابن جرير وابن أبي حاتم والبخاري في التاريخ وابن السني وأبي نعيم معاً في الطب وابن مردويه والخطيب وضعفه الكناني في تنزيه الشريعة ٣٥٠/٢ والصاغاني في الموضوعات ص ٧٤.

(٥) سورة الحجر الآية ٧٥.

(٦) تفسير ابن كثير ٣٢٤/١.

وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضرّ، وقيل: رثاثة ثيابهم"[1].

وقال قوم ، وحكاه مكي : هي أثر السجود.

قال ابن عطية- رحمه الله - : وهذا حسن؛ لأنهم كانوا متفرغين متوكلين لاشغل لهم في الأغلب إلا الصلاة ، فكان أثر السجود عليهم أبدا[2]. ولكن هذه السيما التي هي أثر السجود اشترك فيها جميع الصحابة – رضوان الله عليهم - بإخبار الله – تعالى – بقوله: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[3]. فلا فرق بينهم وبين غيرهم، فلم يبق إلا أن تكون السيماء أثر الخصاصة والحاجة[4].

فالإنسان العارف الفطن يعرفهم من علامات البؤس والفقر التي تبدو عليهم ، مهما تعففوا وابتعدوا عن أخذ الصدقات . والسيما لا تتعين بهيئة خاصة إنما حسب فراسة المؤمن .

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾

السؤال لا ينبغي إلا لذي حاجة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه

---

(١) تفسير البغوي ٣/٢٥٩.

(٢) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣٣٩-٣٤٠.

(٣) سورة الفتح ، الآية ٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٣٤٢.

- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :« **مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»[(١)].

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ - رضي الله عنه - عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَنَّهُ قَالَ: " نَزَلْتُ أَنَا وَأَهْلِي: بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَقَالَ لِي أَهْلِي: اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاسْأَلْهُ لَنَا. شَيْئاً نَأْكُلُهُ وَجَعَلُوا يَذْكُرُونَ مِنْ حَاجَتِهِمْ، فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا يَسْأَلُهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «**لَا أَجِدُ مَا أُعْطِيكَ**» فَتَوَلَّى الرَّجُلُ عَنْهُ وَهُوَ مُغْضَبٌ وَهُوَ يَقُولُ: لَعَمْرِي، إِنَّكَ لَتُعْطِي مَنْ شِئْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**إِنَّهُ لَيَغْضَبُ عَلَيَّ أَلَّا أَجِدَ مَا أُعْطِيهِ، مَنْ سَأَلَ مِنْكُمْ وَلَهُ أُوقِيَّةٌ أَوْ عَدْلُهَا فَقَدْ سَأَلَ إِلْحَافًا**» ، قَالَ الْأَسَدِيُّ ، فَقُلْتُ : لَلَقْحَةٌ لَنَا خَيْرٌ مِنْ أُوقِيَّةٍ قَالَ مَالِك: وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا قَالَ: فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَسْأَلْهُ، فَقُدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بَعْدَ ذَلِكَ بِشَعِيرٍ وَزَبِيبٍ، فَقَسَمَ لَنَا مِنْهُ حَتَّى أَغْنَانَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ-)[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم ٩٦/٣ في الزكاة ، باب كراهية المسألة للناس.

(٢) الموطأ ٩٩٩/٢ في الصدقة، باب ما جاء في التعفف عن المسألة، أبو داود ١١٦/٢ في الزكاة باب من يعطي الصدقة وحد الغني، النسائي ٩٨/٥-٩٩ في الزكاة، باب =

وعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْن عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[1].

فهؤلاء المذكورون في الآية مستغنون عن المسألة من أجل تعففهم.

﴿النَّاسَ﴾ قد يكون من الإنس، وأصله أناس فخفف ولم يجعلوا الألف واللام فيه عوضاً من الهمزة المحذوفة؛ لأنه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوَّض منه .وناسَ الشيء يَنوسُ نَوْساً ونَوَساناً: تحرك وتذبذب متدلياً[2]. وقيل أصله من نسي، فأصل ناس

=

إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها. قال محقق جامع الأصول : هو حديث صحيح، وقال الزرقاني في شرح الموطأ: وإبهام الصحابي لا يضر، لعدالة جميعهم، فالحديث صحيح، وقد نص على ذلك أحمد وغيره (جامع الأصول ١٠/١٥٤) (صحيح سنن أبي داود (١٤٣٣)، صحيح سنن النسائي (٣٤٣٣) الموسوعة الحديثة مسند الإمام أحمد ٢٨/٤٧٣ رقم (١٧٢٣٧) قال محقق الكتاب: إسناد صحيح على شرط مسلم، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٩٠) ، وفي شرح معاني الآثار ٤/٣٧٢. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٩٥ وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح.

(١) البخاري ٣/٣٣٨ في الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، ومسلم ٣/٩٦ في الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس، والنسائي ٥/٩٤ في الزكاة، باب المسألة.

(٢) لسان العرب ٦/٢٤٥.

نسي قلب فصار نيس تحركت الياء فانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً، ثم دخلت الألف واللام فقيل: الناس، وقيل سمي إنساناً لأنسه بحواء، وقيل لأنسه بربه فالهمزة أصلية[١].

﴿إِلْحَافًا﴾ الإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة، وألحف السائل: ألح، وفي حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – : كان يُلْحف شاربه : أي يبالغ في قصه . ومعنى ألحف : أي شَمِل بالمسألة وهو مستغن عنها. واللحاف من هذا اشتقاقه؛ لأنه يشمل الإنسان في التغطية[٢].

والإلحاف: الإلحاح واللجاج في المسألة. واللزوم وألاّ يفارق إلا بشيء يأخذه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: أن رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ:" **لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَة وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَة وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ اقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾**[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ١/١٩٢.

(٢) لسان العرب ٦/٣١٤-٣١٥.

(٣) ينظر: صفحة ٢٢٣.

قال ابن حجر – رحمه الله –:

وهل المراد نفي المسألة فلا يسألون أصلاً، أو نفي السؤال بالإلحاف خاصة فلا ينتفي السؤال بغير إلحاف فيه احتمال ، والثاني أكثر استعمالاً. ويحتمل أن يكون المراد لو سألوا لم يسألوا إلحافاً فلا يستلزم الوقوع[1] .أ.هـ.

" إذاً هل النفي للقيد أو المقيد ؟

مقتضى ظاهر اللفظ أنه نفي للقيد ، يعني لا يسألون الناس سؤال إلحاف (ولكن يسألونهم سؤال تلطف ، وحياء ، وخجل . إذا رده المسؤول مرة لم يعد إليه مرة أخرى. لكن مقتضى السياق – وأن المقام مقام ثناء- أن النفي نفي للقيد الذي هو: الإلحاف، والمقيد الذي هو: السؤال، فهم لا يسألون الناس إلحافاً، ولا غير إلحاف بدليل قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ ولو كانوا يسألون ما حسبهم الجاهل أغنياء، بل لظنهم فقراء بسبب سؤالهم، فعليه يكون النفي عن القيد والمقيد. وقد تأوله الطبري، والزجاج، والزمخشري، بأن المقصود نفي السؤال، ونفي الإلحاف معاً[2]. وفي

---

(١) فتح الباري/ابن حجر ٨/٢٠٣.

(٢) ينظر المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣٤٠ ، الكشاف /الزمخشري ١/٣٤٦ ، التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٧٦ ، شريط للشيخ ابن عثيمين – يرحمه الله –.

هذه الآية تعريض بالملحفين في السؤال .

وفي(إلحافاً) ثلاثة أوجه[١]:

١-أنه مفعول من أجله .

٢-ويجوز أن يكون مصدراً لفعل محذوف دل عليه يسألون ، فكأنه قال :لا يلحفون.

٣-ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال، تقديره؛ لا يسألون مُلْحِفين .

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ أعيد الحث على الإنفاق، فهذه المرة الرابعة. وهذا لا يراد به التكرار ، بل لقد كان كل منها مقيداً بغير قيد الآخر.

فالأول : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ ذكر أن الخير الذي يعمله مع غيره إنما هو لنفسه وعائد إليه جزاؤه .

والثاني: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ ذكر أن الإنفاق طلباً لوجه الله.

والثالث: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ ذكر أن ذلك الجزاء الناشيء عن الخير يوفاه كاملاً من غير بخس ولا نقص .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٥.

والرابع: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ ذكر أنه- تعالى- عليم بما ينفقه الإنسان من الخير مقداره، وكيفيته ،وجهاته المؤثرة في ترتيب الثواب.

وقد حصل بمجموع هذه المرات الأربع من التحريض ما أفاد شدة فضل الإنفاق بأنه نفع للمنفق ، وصلة بينه وبين ربه ، ونوال الجزاء من الله ، وأنه ثابت له في علم الله[1].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ جملة شرطية ، ختمت بها الآية حثاً على الإنفاق؛ لأنه إذا كان الله – عز وجل - عليماً بأي خير تنفقه، فيجازي عليه، فلما كان الإنفاق مرغباً فيه من الله - تعالى - وكان علم الله بذلك مُسلَّماً به، تعين أن يكون الإخبار بأنه عليم بنية المنفق وامتثاله لأمر الله - عز وجل - وأن الله لا يضيع أجره بل يضاعفه له .

ويفيد أيضاً عموم علم الله عز وجل لقوله:﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ فهذا عام، فأي خير ينفقه الإنسان يكون تحت علم الله. وعلمه - سبحانه - شامل لكل شيء .

وتقديم الظرف مراعاة للفواصل أو إيماء للمبالغة[2]. وتقديم كل

---

(١) التحرير والتنوير/٣/٧٧.

(٢) روح المعاني/الألوسي ٣/٤٧.

ما حقه التأخير يفيد الحصر .

الآية ٢٧٤

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

لما حض على النفقة فأكثر وضرب فيها الأمثال، وأطنب في المقال، ولم يعين لها وقتاً كان، كأن سائلاً قال: في أي وقت تفعل؟ فبين في آية جامعة لأصناف الأموال، والأزمان، والأحوال أنها حسنة في كل وقت وعلى كل حال"[(١)].

وهذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سر وجهر[(٢)]. وهي جملة مستأنفة تفيد تعميم الأموال .

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ خبر المبتدأ.

"ودخلت الفاء هنا لشبه (الذي) بالشرط في إبهامه ووصله بالفعل"[(٣)]. والفاء دليل على سببية ما قبلها لما بعدها[(٤)]. أي أن

---

(١) نظم الدرر/البقاعي ١/٥٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٢٥.

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٥.

(٤) الفتوحات الإلهية/الجمل ١/٢٢٦، وينظر: تفسير البغوي ٣/٢٦١.

حصول الأجر إنما كان بسبب الإنفاق.

قال ابن عطية – رحمه الله –:

وإنما يوجد الشبه إذا كان الذي موصولاً بفعل ، وإذا لم يدخل على الذي عامل يغير معناه[1].أ.هـ.

﴿أَمْوَٰلَهُم﴾ يحتمل إرادة جميع المال ، ويحتمل إرادة الجنس .

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ عموم الزمن، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ عموم الأحوال .

(بالليل) ظرف ، والباء فيه بمعنى في[2].

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ مصدران في موضع الحال[3]، أو نعتان لمصدر محذوف أي إنفاقاً سراً[4].

والسر: الخفاء ، والعلانية: الجهر والظهور. وقدم الليل على النهار، والسر على العلانية، لأن الصدقة تخفى فيهما والإخفاء أفضل. فقدم الوقت الذي كانت الصدقة فيه أفضل، والحال التي كانت فيها أفضل". فأفضلهم المنفق ليلاً سراً . وأنزلهم المنفق نهاراً علانية؛

---

(١) المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٣٤٤.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٥.

(٣) التبيان في إعراب القرآن/العكبري ١/١٨٥.

(٤) روح المعاني/الألوسي ٣/٤٨.

فهم بذلك أربعة أصناف."[١]

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مدخر عند الله

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (ولا خوف) لا : نافية.

﴿وَلَا هُمْ﴾ لا : نافية .

فلا خوف فيما يستقبل . ولا هم ولا حزن فيما مضى.

ورفع خوف في نفي الجنس إذا لا يتوهم نفي الفرد لأن الخوف من المعاني التي هي أجناس محضة لا أفراد لها[٢].

وذلك بسبب أنهم يرجون الثواب من الله الذي وعدهم إياه بسبب إخلاص النية لله- عز وجل - في إنفاقهم .

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾

أي: يوم القيامة على ما فعلوا من الإنفاق في الطاعات[٣] .

وفي هذا دليل على كثرة الثواب وذلك؛ لأنه – تعالى - أضافه إلى نفسه. ولا يخفى عظم الثواب عند الله لأن عظم المعْطِي وهو الله يستلزم عظم المعْطَى وهو الأجر .

---

(١) نظم الدرر/البقاعي ١/٥٣٠.

(٢) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٧٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٢٦.

وفي قوله:(ربهم) ربوبية خاصة وذلك لأنها اقتضت عناية خاصة بهؤلاء .

وقوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مقابل قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ إذ هو تهديد لمانعي الصدقات بإسلام الناس إياهم عند حلول المصائب بهم ، وهذا بشارة للمنفقين بطيب العيش[1] .

"ولا يخفى أن في حضه – تعالى - على الإنفاق في هذه الآيات الوافرة ، وضربه الأمثال في الإحسان إلى خلقه ترغيباً وترهيباً ، ما يدعو كل مؤمن إلى أن يتزكى بفضل ماله"[2].

الخاتمة

من خلال البحث ظهر لي بعض ما اشتملت عليه الآيات الكريمات:

١-ضرب الأمثال وهو تشبيه المعقول بالمحسوس، وهذا مما يقرب المعنى إلى الفهم .

---

(١) التحرير والتنوير/ابن عاشور ٣/٧٨.

(٢) محاسن التأويل/القاسمي ٣/٣٥٣.

٢-الإخلاص والمتابعة مطلوبان لإتمام الأعمال وقبولها .

٣-الحث والترغيب في الإنفاق في سبيل الله طمعاً بما عند الله – عز وجل - من الثواب العظيم.

٤-تجنب المن والأذى الذي يبطل أجر الصدقة والذي يعتبر من كبائر الذنوب .

٥-القول المعروف والمغفرة أفضل من صدقة يتبعها مبطلات لأجرها . وعليه فالآية تحث على حسن الخلق كذلك .

٦-تحريم مراءاة الناس بالأعمال الصالحة وهذا هو الشرك الخفي .

٧-يترتب على المراءاة نقص الإيمان بالله واليوم الآخر لقوله – تعالى -: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

٨-إثبات عقيدة البعث.

٩-إخلاص النية شرط في قبول الأعمال لأن من ابتغى مرضاة الله فقد جعل نية نفقته خالصة لله .

١٠- ينبغي مراقبة الله في السر والعلن لأنه بصير ومطلع على أعمالنا وما تكنه صدورنا.

١١- الحث على التفكر والتأمل وأنه غاية مقصودة :(لعلكم تتفكرون).

١٢- اختيار الطيب من الرزق للإنفاق، وألّا نعمد إلى الخبيث؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

١٣- في الآيات دليل على وجوب الزكاة على عروض التجارة كما في قوله: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ، وعلى الخارج من الأرض كما في قوله: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ .

١٤- تأثير الشيطان على بني آدم ، وذلك بالوسوسة والتخويف من الفقر .

١٥- أن البخل من الفاحشة: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ .

١٦- الإنفاق في سبيل الله مع إخلاص النية سبب للمغفرة وزيادة المال ونمائه : ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾.

١٧- فضيلة من ميزه الله – عز وجل - بالعقل .

١٨- ينبغي احتساب الأجر في النفقة وفي جميع الأعمال لنيل الثواب.

١٩- هداية التوفيق بيد الله – عز وجل- يهبها – لمن يشاء .

٢٠- إثبات الوجه لله – عز وجل- وهو وجه حقيقي من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾.

٢١- فضيلة التعفف عما في أيدي الناس .

٢٢- اشتملت هؤلاء الآيات على بعض أسماء الله الحسنى مثل: واسع، عليم، غني، حليم، بصير، حميد، خبير.

٢٣- إثبات ما تضمنتها تلك الأسماء من الصفات وهي : السعة، العلم، الغنى، الحلم، الحكمة، الخبرة، المشيئة .

٢٤- إثبات أفعال الله المتعلقة بمشيئته مثل ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ وهذه من الصفات الفعلية

وبعد فهذا جهد المقل فإن أصبت فبفضل الله وكرمه فله الحمد والمنة ، وإن أخطأت فمن نفسي وتقصيري .

أسأل الله أن يعفو عني ويبصرني بخطئي إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .